جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص أدب العربي حديث ومعاصر

تحت عنوان

قراءة في كتاب إيليا أبو ماضي شاعر الحنين ...والأحزان

* من إعداد الطالبتين:

حمو نزيهة

بواب ياسمين

* تحت إشراف الأستاذ:

د سعيد مكروم

السنة الجامعية 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــداء

إلـــــــى من ذكـــــرهما المـــولى في كتـــــابه

" و اعبـــــــدوا الله و لا تشـــــركوا به شيئـــــــا و بالوالدين إحسانا "

نهدي ثمرة جهدنا الدراسي إلى أطيب قلبين، و أعظم و الدين و أحب الناس في الوجود، إلى من كان ملجأنا الدافئ كلما اشتدت علينا الهموم ، الأب الحنون و الأم الحنونة.

إلى الإخوة و الأخوات الذي كان تشجيعهم حافزا لنجاحنا.

إلى كل عائلة بواب و حمو كبيرا و صغيرا.

إلى كل الأصدقاء و الصحبة التي غمرونا بوفائهم و حبهم دوما

لنا سمية – وليد

إلي كل من يعشق لغة الضاد،ويحمل راية الدفاع عنها

إلى كل من يعرف " ياسمين" و "نزيهة" من قريب أو من بعيد

" ياسمين " " نزيهة "

محتويات

كلـــــــمة شـــكر

إن الشكر لله عز وجل

نشكره ونحمده بأن هدانا إلى طريق العلم و النور

وأنار بصيرتنا بنور سراجه

فوفقنا في إنجاز بحثنا المتواضع هذا بالتوفيق و إرشاد منه جل شأنه نتوجه بكلمة شكر و امتنان إلى أغلى و أعز ما منحنا الله الوالدين العزيزين الذين لم يبخلوا علينا و ما تهونوا في تشجيعنا و مساعدتنا حفظهما الله و أطال في عمرهما.

كما نتقدم بالشكر الجزيل،إلى الأستاذ المشرف "دكتور سعيد مكروم" الذي تحمس لموضوعنا هذا و شاركنا في وضع لبناته و لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة.

ونتوجه بفائق الشكر و العرفان إلى من ساهم معنا في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد

أخيرا نتوجه بالشكر إلى من كان له الفضل علينا جميع أساتذتنا و معلمينا من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي.

لكل هؤلاء لكم منا فائق الشكر و الاحترام

محتويات

مقدمة

BROUILLON

❖ مقدمة:

- الحمد لله حمدا يليق بعظمته وجلاله والصلاة والسلام على اشرف الخلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه وتابعيه أجمعين أما بعد :

الأدب المهجري أدب رأينا فيه الخلق والابتكار، والإبداع وقد اعتنت المكتبة العربية بما قدمه من عطاء غزير فيه عمق إنسان تجلى فيه الاحترام إنسانية، والإنسان وتقدس الحياة الروحية التي هي وليدة الحب الذي سيبقى في الوجود، وشعر هؤلاء المهجرين كان حافلا بالشوق والحنين

ويعد إيليا أبي ماضي من أهم الشعراء الذين تجلت في شعرهم هذه الظاهرة ، ولاسيما انه تأثر بالاتجاه الرومانسي .

لذلك وقع اختيارنا على الشاعر إيليا أبي ماضي وذلك نضرا لتعدد موضوعاته وقصائده فهو يضم عدة نزعات منها النزعة التأملية والتشاؤمية والحنين العارق إلى الأوطان كما أردنا في هذه الدراسة الوصول إلى تصور متكامل عن النزعة الشاعرالتاملية في الشعر من ناحيتين الموضوعية والفنية بالإضافة إلى وقوف على الاتجاه الرومانسي للنزعة التأملية للشعر والكشف عن خصائص الفنية لشعر إيليا أبي ماضي وذلك عن طريق الدراسة الفنية التي تقوم على التحليل والتعدد.

ولم يقف موضوع البحث على دراسة المستقلة فإنما استعنا الكاتب بمجموعة من المصادر والمراجع التي أثارت معالم هذه الدراسة ومن أهمها :

*ديوان إيليا أبي ماضي (الإعمال الكاملة) دار العودة ،بيروت .

* إيليا أبي ماضي بين التجديد والتقليد ، طالب زكي طالب منشورات المكتبة العصرية مبدآ بيروت 1981 .

*الشعر العربي الحديث من احمد شوقي إلى محمود درويش ديميشال خليل جحا دار العودة و دار

الثقافة – بيروت 1999 .

* قصة الأدب المهجري محمد عبد المنعم الحفاجي ، ج1 دار الطباعة الأحمدية ، القاهرة دون ذكر سنة النشر.

وضمن هذا البحث رصدنا مجموع من الإشكاليات التي أثارت الكاتب ولعل أهمها:

*ماهي الروافد الثقافية والفكرية لشاعر إيليا أبي ماضي ؟

*ماهي الملامح المميزة في شعره ؟

وتأسيساً على هذه الإشكاليات رسمت خطة البحث تتضمن : مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

تناولت في المقدمة التعريف بموضوع الدراسة وصلته بالأدب العربي الحديث وأهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع والمنهج في دراسته والإشكالية المطروحة واهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة وجاء المدخل كوصف للكتاب من حيث الغلاف تضمن دراسة ظاهرية للكتاب ودراسة خارجية للكتاب.

فكان الفصل الأول المعنون بدراسة حول الشاعر إيليا أبي ماضي حيث تضمن مبحثين المبحث الأول تناول حياة الشاعر إيليا أبي ماضي واهم أعماله بينما تناول المبحث الثاني مظاهر التجديد عند إيليا أبي ماضي أما الفصل الثاني المعنون بمختارات شعرية لقصائد إيليا أبي ماضي الذي تضمن مبحثين المبحث الأول قصيدة المساء أما المبحث الثاني تناول قصيدة الطلاسم .

وكانت الخاتمة أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث.

وكل عمل ليخلو من العراقيل ،فقد واجهتنا بعض الصعوبات وهي أن المادة البحثية المتعلقة بالشعر المهجري ولدراسة حول الشاعر إيليا أبي ماضي غزيرة ومتشبعة لذلك صعب علينا اقتناء كل مايخص الموضوع فحاولنا جاهدين أن نشارك ولو بالقليل فيما يخدم البحث وتصيد العلم والمعرفة.

إن الله تعالى يسر طريق كل باحث وكل عالم ،والحمد الله كان الله دائما في عوننا رغم الظروف التي واجهتنا كما لا ننسى الشكر الخاص للأستاذ المشرف الذي كفائنا بمجموعة من النصائح والإرشادات، فقد كان دائما السند القوي ،المعلم المرشد ، فنتقدم له بخالص الشكر والتقدير .

البطاقة الفنية

BROUILLON

حمل الأدب العربي قديمه وحديثه كثيرا من الاتجاهات والتجارب الشعرية التي شكلت فنونه ورسمت له طابعا خاصا نحو التطور والاستمرار والخلود ويعد إيليا أبو ماضي من أهم الشعراء الذين تجلت في شعرهم كلمة الحنين والأحزان ، لأنه تأثر بالاتجاه الرومانسي ، مما دفعه للارتفاع إلى العالم المثالي الذي يتخيله الفلاسفة والشعراء عالم الحب والخير والعدل وسلام والجمال ومن هناك نتطرق إلى معرفة الدراستين الموجودة في الكتاب أولا .الدراسة الظاهرية وثانيا الدراسة الخارجية :

الدراسة الظاهرية للكتاب : اسم المؤلف : هاني الخير : ولد في مدينة الناصرة فلسطين سنة 1945 ، ثم قامت أسرته بالرحيل إلى بيروت ثم بعدها إلى دمشق نشأ في إحدى أحيائها القديمة .ترك الدراسة بعد الحصول على شهادة الإعدادية واشتغل بعدد من مهن اليدوية قبل إن يتابع دراسة الحرة ويحصل على شهادة الثانوية والتحاق مرغما عنه بكلية اللغة الإنجليزية وآدابها في الجامعة سنة 1968 .وعند تخرجه عمل مخرجا ومترجما في وكالة الأنباء السورية (سانا) ثم انتقل إلى وزارة الإعلام السورية وفي سنة 1977 سافر إلى لندن حيث عمل مصحفا ليستقر في الأخير في خليج ويصل صحفي عالميا.

أهم إعماله: اشعر الاغتيالات السياسية في العالم، عبد الوهاب البياتي شاعر العشق ومنافي سنة 1979، حافظ إبراهيم شاعر النيل والوطنية ، مضافر النواب شاعر المعارضة سياسة والعقب والقومي.

مفهوم كلمة الشاعر: الشاعر جمعه الشعراء ،ويعرف الشاعر على انه الشخص الذي يقول الشعر وينظمه، ويعرف سبب تسمية الشاعر بهذا الاسم،لفطنته وذكائه ودقة ملاحظته .ومعرفة القوية بالشعر، والشعر هو كلام الموزون ومقفى وتنظم كل أوزانه على روي واحد.ويطلق عليه إسم القافية .

مفهوم كلمة الحنين : الحنين لغة : لقد وردت كلمة الحنين في المعاجم العربية بمعان مختلفة ففي قاموس المحيط يعني (الحنين) الشوق وشدة البكاء والطرب أو الصوت الطرب عن الحزن أو الفرح .[1] ويقال أيضا (حن إليه يحن بالكسر حنينا فهو حان) وقال لابن المنظور في لسان العرب (الشوق وتوقان النفس والمعنيان متقاربان).[2]

الحنين اصطلاحا :وهذا من حيث التفسير اللغوي أما في الدلالة الاصطلاحية فان الحنين في الشعر خاصة يعني الشوق إلى الوطن وما يحتضنه من الطبيعة بمختلف أصنافها والأصل والذكر الأصحاب و الذكريات .....الخ

والإنسان بطبعه شديد الاشتياق إلى الشيء الذي ألفه سواء أكان وطنه أو غير وطنه لاسيما إذا ارتبط ذلك المكان ذكريات إنسانية معينة باعتباره كائنا اجتماعيا تربطه بغيره علاقات اجتماعية مختلفة.[3]

---

[1]-مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط 4 دار الجبل ،بيروت ص218

[2]-أبي الفضل جما الدين محمد بن كرم ابن متضور ،طبعة جديدة محققة ،التح 3 ، دار صادر ، بيروت ط4 2005 ص 254.

[3]-بجمعة وبعيو ،موازنة بين الشعراء المهجر الشمالي وجامعة ابلوا ، دراسة في الخصائص الوضعية الفنية ، منشورات قار ويونس بنغازي ط1 1995 ص218.219.

مفهوم كلمة الإحزان :الحزن هو ألم نفسي يوصف بالشعوربالبؤس و العجز غالبا يعد الحزن هو العكس الفرح وهو شبيه بالهم ، الأسى ، الكآبة ، اليأس من المؤكد بان هذه المشاعر بالعادة هي مشاعر سلبية عندما يشعر بها الإنسان فيصبح الشخص هادئا ، قليل النشاط ،منفعلا عاطفيا وانطوائيا ، يصاحب الحزن أحيانا البكاء ولكن ليس بالضرورة.

عدد صفحات الكتاب:204 صفحة حجم الكتاب: طوله 24 سنتمتر، عرضه 17 سنتمتر، سمكه 1،5 سنتمتر، حجمه متوسط ، نسخه 1000 نسخة دارو المكان والنشر : دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع سوريا – دمشق ،سنة الطبعة :2012م.

الدراسة الخارجية للكتاب : الواجهة الأمامية :يحتوي الكتاب في الواجهة الأمامية على صورة الشاعر اللبناني إيليا أبي الماضي كما نلاحظ وجود عنوان الكتاب المكتوب بالخط العريض المزخرف الذي يحمل اللون الأحمر كما تم توظيف الطبيعة من أشجاروعشب وجبال وسماء وفالاخير الغلاف الواجهة نلاحظ اعداد المؤلف هاني الخير.

الواجهة الخلفية : أما بالنسبة للواجهة الخلفية فهناك بطاقة الفنية يتحدث مضمونها على الشاعر إيليا أبي ماضي بمعنى لمحة عن حياته وأعماله بالإضافة إلى وجود نفس الطبيعة التي تم توظيفها في الواجهة الأمامية كما نلمح أيضا وجود دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع والهاتف والفاكس.

دلالة اللون :اللون الأخضر :عند ما نقول اللون الأخضر فأنتا تقول الحياة ، الخير ،الربيع ، المرح ، الأمل ، الجمال غالبا مايستعمل هذا اللون للتعبير عن جمال الطبيعة بصفة خاصة وجمال الوطن بصفة عامة وهو لون يبعث الراحة والطمأنينة في النفس كما انه اللون الوحيد المتفق على دلالته المريحة للنفس الإنسانية.[1]

اللون الأزرق :يحمل هذا اللون الدلالة الصفاء فهو لون السماء والبحار والمحيطات وهو لون الشوق والليل الطويل الذي ينتظر شروقه كما انه من الألوان التي تبعث الهدوء والاطمئنان في النفس الإنسان ، وهو من الصداقة والحكمة والخلود، رمز الصبر والثقة والاحترام إلى جانب دلالات أخرى منها الحزن والكآبة والضياع.[2]

اللون الأحمر :يأخذ اللون الأحمر في الكثير من الأحيان دلالة الدم أي العنف ، الغضب ،الظلم ، الاستبداد، القتل والموت وفي النصوص الحديثة عرف هذا اللون دلالات أخرى مثل دلالة الحب والرومنسية والعواطف الثائرة والحركة والحياة الصافية إلى جانب انه لون الإشارة والكرامة ولون الوفاء والتضحية [3] .

---

[1]-قور عبدا لله ثاني ، سينمائية الصورة ،دار الورق ،عمان ،الأردن ط1 2008 ص113 .

[2]-ابتسام مرهون الفار التشكيل اللوني في القران الكريم، جامعة دار، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، الطبيعة 1 2010 ص68.

[3]-احمد مختارا عمرا، اللغة واللون، دار عالم الكتب، القاهرة مصر، الطبيعة 1 1982 ص70.

اللون الأبيض : لون ايجابي أكثر مما هو سلبي فبمجرد ،أن نقول ابيض يخطر في بالنا الصفاء – النقاء –الطهارة – العفة –السلم والسلام وهو أساس الألوان فقد سبق وقلنا إن الضوء الأبيض فينتج عنه عدة الألوان وهو من الألوان المحببة إلى المسلمين.

محتوى الكتاب : يتضمن الكتاب أربعة أقسام .

1- القسم الأول : إضاءة إيليا أبي الماضي شاعر الحنين ...والأحزان 1889-1957.

2-القسم الثاني :إيليا أبي الماضي ملامح عامة .... وخلاصة تجربة رائعة

3-القسم الثالث: هجرة النصوص بين قصيدتين.

4- القسم الرابع : إيليا آبي الماضي مختارات الشعرية .

المصادر والمراجع: اعتمد المؤلف على آثنا عشر مصدرا نذكر منها:

1-ديوان إيليا أبي ماضي (الأعمال الكاملة) دار العودة –بيروت.

2- إيليا أبي ماضي بين التجديد والتقليد ، طالب زكي طالب ،منشورات المكتبية العصرية بيروت191.

3-قصة الأدب المهجري ، محمد عبد المنعم خفاجي ، ج1 ،دار الطباعة الأحمدية ،القاهرة دون ذكر سنة النشر .

4-الأرشيف الشخصي للكاتب هاني الخير.

*الفصل الأول *

- دراسة حول الشاعر إيليا أبو ماضي

-المبحث1: تعريف الشاعر إيليا أبي ماضي وأعماله

-المبحث 2 : مظاهر التجديد عند إيليا أبي ماضي

أولاً-تعريف الشاعر :

1-1حياته :إيليا أبي الماضي الطائر المهاجر الذي ضاق به عشه في لبنان فهو يعد المبدع واحدا أبرز شعراء المهجر الشمالي ومن اكبر شعراء العرب المعاصرين في القرن العشرين[1]

فهو شاعر عربي من أصل لبناني وبالتحديد من المحيدثية التي ولد بها سنة 1889 نشأ في عائلة بسيطة الحال تعلم في تجربته أصول الكتابة والقراءة باللغة العربية ، غادر قريته وهو فتى باتجاه مصر فأستقر بالإسكندرية حيث عمل تاجرا كان عصاميا يهوي الأدب وله ميل خاص إلى الشعر هاجر إلى امريكا سنة 1911 وأقام في مدينة سنستاني واحترف التجارة وفي سنة 1916 فنتقل وأستقر بنيويورك[2].

ويرجع سبب هجرته من لبنان إلى مصر ومنها إلى أمريكا إلى سببين هما:

- إن الهجرة إلى مصر كانت ميسورة في حين أن الهجرة إلى أمريكا كانت عسيرة ،لان الحكومة العثمانية منعت الهجرة إلى أمريكا فكان لابد لمن يريد أن بها وجدا أن يمر بمصر أولا.
- ويبد وانه تفرض إلى صعوبات في حياته بمصر فضاقت به الحياة وفشلت تجارته ورأى أن الهجرة هي الحل الوحيد.[3]
- إشترك عام 1920 في تأسيس الرابطة القلمية وكان شاعرها الفد الذي ضاع صيته وطبقت شهرته الوطن و المهجر[4].

- جمع إيليا أبي الماضي في ثقافته بين الثقافة العربية والثقافية والغربية فقد قرأ التراث الشعري العربي القديمة واحتذاه في بعض نماذجه كما إطلع على الثقافات الغربية فكان له منهجه الشعري وفلسفته .

- كان إيليا أبي ماضي من هؤلاء ، شعراء الرابطة القلمية وقد كان أميرا في المهجر وكان رومانسيا لحما و عظما وعايش الرومانسية واقعا وفنا.
- حيث وصلا الأمر بي الشاعر العراقي الكبير أحمد الصافي النحفي نزيل دمشق أنه أطلق عليه أمير الشعراء العرب فيقول صافي :

سَألتنْي الشُعراءُ أَيْن أَمِيرهَا فَأجَبْت إيليا يقُولْ مُطَلقْ

قَالوْا وأنتَا فَقُلتُ : ذَاكَ أمِيركَمْ فَأنَا أَميرُ لأمَة لم تُخَلقْ

وفي عام 1948 دعي الشاعر لحضور مؤتمر الأونيسكو العالمي في بيروت فلبى الدعوة، يدفعه في ذلك حنين جارف لأرض الوطن وما إن وطئت قدماه ارض المطار بيروت حتى أحاطت به جماهير غفيرة

---

[1]-أحمد يوسف خليفة البنية الدرامية في شعر إيليا أبي ماضي دار الوفاء لدنيا الطابعة والنشر ط1 2004 ص01.

[2]-إيليا أبي ماضي شاعر الحنين والأحزان موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث هاني خير دار مؤسسة رسلان سوريا دمشق ط1 2009 ص7.

[3]-شاذلي فلاح الرد منطقية العربية المغربية للطباعة وافستعار الشرقية تونس دار صامت للنشر والتوزيع ط1 2006 ص106.

[4] -فواز الشاعر الشعراء الغرب الجزء الثاني دار الجبل بيروت ط1 1999 ص 121 .

من محبيه ومتذوقي شعره ورحبت به أجمل ترحيب.

-ثم مالبث أبو ماضي إن عاد إلى نيويورك ليجدا أصحابه جيران خليل جبران ونسيب و نعيمة والريحاني وحداد قد عيبتهم الموت أو المرض أو السفر وهذا الآمر الذي تسبب في اعتدال صحته و أصابته بقنوط شديد ،لم تكن أصدقاؤه الباقون في إزاحته أو التخفيف من وطأته بالرغم من الجهود الذي بذلوه.

فكانت وفاة الشاعر في الثالث و العشرين من شهر تشرين الثاني عام 1957 بعد حياة حافلة بالنشاط والعمل في مجالات الشعرو الأدب والصحافة والسياسة والعمل الوطنيو القومي.

2-1 نشاطه الثقافي:

استطاع إيليا أبو ماضي أن يكون بنفسه فقد عمل التحصيل العلمي الذاتي ، تأثر بالقران والحديث النبوي الشريف ، وأهتم بقراه التراث العربي خاصة الشعر كبار شعراء العرب ،أجاد اللغة العربية وأفتقها ولم يكتفي بذلك فقط بل تعداها إلى لغات أحرى وكل هذا يثبت أنه عصامي الثقافة[1]

بدأت مسيرته الشعرية في سن مبكرة ففي مطلع العشرينات من عمره أصدر مجموعة الأولى وكان في ذلك الوقت في مصر ، ثم هاجر إلى أمريكا فاشتغل بالصحافة واهتم بها ، فعمل في المجلة العربية ، ثم في جريدة زحلة الفتاة ومجلة مرآة الغرب وفي التاريخ 15 أفريل 1919 قام بإصدار أهم مجلة عربية في المهجر وهي مجلة السمير التي تبنت الأقلام المغتربة ، فقدمت الشعر الحديث على صفاحتها وكانت هذه المجلة فيس بداية الأمر مجلة نصف الشهرية ، ثم تحولت إلى أسبوعية وفي أخر المطاف أصبحت يومية وكان ذلك عام 1936 ، واستمرت في الصدور إلى غاية وفاغته عام 1957 .

بعدها تعرف على علماء القلم في المهجر فأسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة الرابطة القلمية وذلك عام 1936 ، وكانت من أبرز مقاومات الأدب العربي الحديث ، ويعتبره بعض النقاد خير من مثل المدرسة الشعرية في المهجر نزعة وتفكيرا ومنهجا .

أما عن شعره فقد تسلسل عبر مراحل حياته و ضهر التقليد واضحا في دواوينه الأولى لكنه أستطاع أن يتجاوز هذا التقليد ، ويظهر ذلك من خلال حملته التعديدية الانطلاقة من ديوانه الثالث حيث تعمق في أرائه وموقفه وابتعد عن المواضيع التقليدية كمادح والهجاء ، في المقابل الانفتاح على الإنسان والطبيعة [2].

يسمه البعض النقاد شاعر التفاؤل والأمل فقد كان الجمال حاضرا في أغلب أعماله ن فحصل روح الشرق المهجر ، لكن سرعان ما يبدأ في مسيرته الشك والتفلسف ليصل في ديوانه الثالث غلى تأكيد على حب الحياة مهما كان غموض أسراره ، لذلك كان ذا رؤية فلسفية لكل شيء ، فله في الموت فلسفة وكون والوجود والسياسة وفي المجتمع وفي الحب فخصص مساحة من شعره للمارورئيات.

---

[1]-ينضر: سلمى الخضراء الجيوسي ، الإتجهات والحركات في الشعر العربي الحديث ،ترك عبد الواحد لؤلؤة ،مركز الدرسات للوحدة العربية ، بيروت ط1 2002 ص 170

[2]-إيليا أبي ماضي ، ديوان أبو ماضي تح : جورج شكور دار الفكر اللبناني ط1 2004ص 70 .

ثانياً- أعماله :

-لقد كان إيليا أبي ماضي على درجة كبيرة من النضج الأدبي خاصة في عالم الشعر يتضح ذلك من خلال مؤلفاته التي كانت ,أكثرها شعرية منها :

ديوان تذكار الماضي 1911 :نشر هذا الديوان بالا سكندرية ، فقد كانت رغبة الشاعر في أن يجمع ما جاد له خاطره الشديد لذلك أراد أن يدرجه في ديوان ، وكان له ذلك فسمه تذكار الماضي و سلمه للمطبعة ، و معظم الذين كتبوا عن إيليا أبو ماضي ليعرفون هذا الديوان والدليل على ذلك اختلافهم في تسمية الديوان (فجورج صيدح) يسمه ديوان ظاهر أبو ماضي و(نادرة سراج) تسميته تذاكر الماضي أما البعض فيسمونه بالديوان الأول[1].

-تناول الشاعر في هذه الديوان موضوعات مختلفة من أبرزها الظلم حيث عرض بعض القصائد الظلم الذي يمارسه الحاكم ضد المحكوم مهاجما بذلك الطغيان العثماني ضد بلاده[2].

-ويكشف هذه الديوان عن معرفة تراثية بالشعر كما تعكس القصائد ملقية قوية وذاكرة حادة مهارة في رصف الكلام والقوافي وضبط الألوان ،وتبين النمو الهائل في الحساسية إلى جانب التجديد في الأدوات الشعرية ، ولكن من الرغم من الذي مربه في شعره فإنه لم يستطيع أن يتخلص من علائقه التقليدية التي كانت دائمة الحضور لكن بدرجات متفاوتة لذلك فهو يعد محط اهتمام تعاد الشعر العربي بشكل خاص[3].

ديوان إيليا أبي ماضي 1919 : تكمن أهمية هذه الديوان في انه يشير إلى اثر المفهوم الشعري الجديد الذي أصبح الشعر في حاجة ملحة إليه« ويشمل هذا الديوان شعر إيليا أبي كماضي والقصصي والوطني ، وقد ضمنه إيليا أبي ماضي القصائد الوطنية التي لم يمكن من نشرها في ديوانه الأول تذكار الماضي»[4]وقد عكس هذا الديوان نتيجة لاتصالات الجديدة أبي ماضي بعد" اتصاله بالثورة" على الجمود والتقليد وقد مر أبو ماضي بتحول كبير على حساسيته الشعرية ، وحدث ذلك حسب رأي ميخائيل نعيمة – بعد أن بدأ النشر في جريدتي" الفنون" و" السائح" وتقول سلمى الجيوسي [5]: نحن نلمس بعض دلالات هذه الحساسية الجديدة في قصيدته الشهيرتين فلسفة الحياة و لم أجد أحدا لكن اغلب القصائد هذه المجموعة التقليدية,« إطلاق خياله حرا في أفاق الوجود والطبيعة دون تهيب ولا حذرا»[6].

فيبدو الشاعر ذا ثقافة تقليدية ، وذا موهبة متميزة جدا ، في أن ، وقد أستطاع بشاعريته المبدعة أن يتخلص من القيود التقليد .

ديوان الجداول 1927 :يتفق المؤلفون على أن صيغة له صدرت بتاريخ 1927 في إحدى مطابع نيويورك ، الذي يضم الديوان أفضل شعر إيليا أبي الماضي فقد كتب مقدمته ميخائيل نعيمة الذي رحب

---

[1]- عيسى الناوعري ،أدب المهجر ،دار المعرفة مصر ط2 ،1966 ، ص368

[2]-ينضر سلمى الخضراء الجيوسي ، الإتجهات والحركات في الشعر العربي الحديث ،ص170

[3]-عيسى الناوعري ،أدب المهجر ،ص369

[4]-خليل برهومي ،إيليا أبو ماضي ،شاعر السؤال والجمال ،دار الكتاب العلمية ،1933 ص 33

[5]-إبراهيم خليل ، مدخل لدراسة الشعر الحديث ،ص 131

[6]-سلمى الخضراء الجيوسي ،الإتجهات الحركات في الشعر العربي الحديث ،ص171

بالتغيير الكبير عند إيليا أبي ماضي هذا الخير كشف عن عبقريته ومافيها معا وهذا مايعكس موهبته الفائقة وقدرته على التجديد والتصوير«كان لهذا الديوان الشعري صدى كبير في الأوساط الأدبية لوكأن إيليا أبي كماضي في هذه المرحلة من حياته قد اختمرت تجربته الشعرية ، وقد تناولته معظم البلدان العربية ن وقد قدم للديواني ميخائيل نعيمة ثانيا على موهبة الشاعر ومنوها بنزعة الأدبية والفلسفية»[1]. وفي ذلك يقول نعيمة :« فبين هذه هذه الجداول ما تناسب معه روحي مترقرقة ،مترنمة ن مطمئنة ،جذلة بنور في عينيها ، وجمال في جانبيها مرحلة،البحرية لا أرصاد عليها ولا قيود »،ومدى لا أفاق لها ولا حدود. وفيه ينجو أبو ماضي إلى التجنيد ،«وينطلق انطلاقا متميزا ، حيث تعمق آراؤه ومواقفه، رومانسيا في هذا الديوان ، وبلغ منتهى نضجه الشعري فيه».

ديوان الخمائل 1930 :يعتبر من أكبر الديوان شهرة ونجاحا لما فيه من إكمال النضج الأدبي ن فقد جعل شعره شعر التناقضات حيث نلمس فيه الجسد والروح ، الثورة والسلام الاعتراف بالواقع ورسم الجمال وبالرغم من كونه يضم العديد ،من القصائد الموغلة في التراثية والصافحة بالصور الجاهزة والعواطف المؤلفة إلى أنه يتمتع بشهرة واسعة لقد جاء هذا الديوان حافلا بالقصائد ،الرائعة التي تدل على شاعرية أبو ماضي المتوافقة ن وتحديديه شكلا ومضمونا ، وقد بواه ليكون كبير شعراء المهجر على الإطلاق وعنه يقول كالضم حطيط « يصل في ديوانه الخمائل إلى تأكيد على حب الحياة أيا كان غموض أسراره ، وتهجم أو تبدل أحوالها وضر وفها وتعدد نوازها »[2]، وفي الأمر نفسه يقول شوقي ضيف : فالدنيا من حوله زهيدة مشرقة ، إن اذاهتمت من جانب لا تلبث أن تضئ وتثير من جانب أخر ، وهو يدعونا أن لا نبتئس حتى لو ابتأست الطبيعة نفسها ، فالعمر قصير وحياتها وشبكة الزوال ، وستنتهي إلى العدم ولا محيص ، فحرى بنا أن نلقى الحياة مبتهجين .وعن خصائص هذا الديوان يقول عيسى الناوعري : نجد في الخمائل الخصائص عينها التي وجدنها من قبل في شعر الجداول" إلا أشياء جديدا واحدا – نعده نحن نكسة إلى وراء –وهو زيادة عدد القصائد المناسبات الشخصية في الخمائل "، فقد اجتمع منها نحو أثني عشرة قصيدة أو تزيد ، ولم يكن منها سوى اثنين ، وهذه بها الديوان لأكبر شاعر في الرابطة القلمية ، إل أنه في هذا الديوان عدد من قصائد المناسبات من أروع القصائد الإنسانية أو الأجتمعاية أو الوطنية ، ويقول أيضا : «هنا في الخمائل كما في الجداول نتخلص مميزات أبي ماضي الشعرية في شعوره ألإنساني ، وغمق إحساسه بالطبيعة ، وتفاؤله ،وحبه للحياة ، وشعره الاجتماعي ، وحنينه إلى وطنه وفي الحيوية الشعرية »[3]،ومن هنا نستطيع القول أن أبا ماضي هو مثال للشاعر الحق ن فهو يسير في شعره ضمن حدود وأهداف تتبع من المجتمع.

ديوان الترو التراب: نشره الديوان بعد وفاته في بيروت ، يركز فيه الشاعر على شعر المناسبات

[1] - جعفر الطيار الكتاني ، الدراسات الأدبية ،إيليا أبي الماضي ، دراسة تحليلية مكتبة الجاني للنشر مصر مكتبة الرشاد الدار البيضاء ص 12-13

[2]-سلمى الخضراء الجيبوسي ، الاتجاه والحركات في الشعر العربي الحديث ، عبد الواحد لؤلؤة مركز الدراسات للوحدة العربية ،بيروت للوحدة العربية بيروت ط1 2002 ص170

[3]-محمد عبد النعم حقابي ، مدارس الشعرا العربي الحديث دار الوفاء لدنيا الطابعة والنشر الإسكندرية 2004 ص87

ثالثاً ـ مظاهر التجديد عند إيليا أبي ماضي :

-لقد تميز شعر إيليا أبي ماضي بمجموعة من المميزات ، جعلته يختلف عن أشعار شعراء الآخرين ، ومن بينها أن «شعره يتجه نحو أهداف تنبع من صميم المجتمع ، وتستمد قوتها وعمقها من صدق صاحبها و إخلاصه ، ومن إيتصال وشغف شديدين بالطبيعة ، أما عن أسلوبه فهو صافي رقراق كنفسه نقراه بثغور مشرقة قلوب يغرمها الحب والأمل فهو أسلوب البساطة والوضوح الذي يحمل أبعد معاني الحياة في أعماقه.»[1]

ومن الموضوعات المجددة عند إيليا أبي ماضي فنرى :

1 /الحنين إلى الأوطان : يحن الإنسان إلى وطنه مهما عاش في حرمان وبؤس ، وعانى من ظلم والجوع والفاقة وخير دليل على ذلك إيليا أبي ماضي الذي هاجر إلى بلاده جديدة وقد كسب المال والجاه والشرف ، ولكنه يحن إلى وطنه وينحشر على ما يجري فيها من مصائب ونكبات وعدوان[2] » كما نرى الذين عنده بارزا في شعره ونلمح ذلك في قصيدته أمنية مهاجر فيقول :

أيها السائل عني من أنا — انا كالشمس إلى الشرق انتسابي

لغة الفولاذ خاضت لفني — لا يعيش الشد في بحرا اصطخاب

لست أشكو إن شكا غير النوى — عزبة الأمام ليست باغتراب

أنا في نيويورك بالجسم وبالروح — وفي الشرق على تلك الهضاب[3]

فالشاعر يصور لنا حنينه إلى وطنه الأصلي ، ولوعته وشوقه ،وتأمله لذلك راجيا العودة إلى بلاده

2/التأمل : « إن التأمل هو المنهج الذي إتخذه إيليا ، وحلق في أفاقة فقد أطال النظر في ذاته وما حوله من الكائنات شأن الفلاسفة الروحيين ، وإنتشغل بما إنطوى في أعماق النفس من المخبآت والودائع وأنشغل بمشاكل الوجود ،وقاضيا الفناء والخلود[4]» . فمن الضيقة الطبعة والنفس انبثق مفتاح التأمل الذي شمل كثيرا من مناحي الحياة وشؤونها كالنفس والوجود والبحث في أسراره ، وما يتعلق به ،ومن ذلك الشعر التأملي نجد قصيدة الطلاسم إذا يقول :

جئت لاأعلم من أين ، ولكنني أتيت

---

[1]-يحي الجبوري ،الحسين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان ن ص1 ، عمان :الأردن 2008 ، دار المجد لاومي للنشر والتوزيع ،ص5.

[2]-هاني الجبلر ، إيليا أبو ماضي شاعر الحنين ...والآحزان ، موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث ،دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ط2012 ص 78-79

[3]-صابر عبد الدايم ، أدب المهجر دراسة تأصيلي تحليلية لإبعاد التجربة التأملية في الدب المهجري ،ط1 القاهرة : 1993 ،دار المعارف.

ولقد أبصرت قدامي طريقا، فمشيت

وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت ؟كيف أبصرت طريقي ؟

لست أدري [1]

فالشاعر يتأمل الوجود ن ويبحث عن حقيقته وهذا دليل على حيرته حيال الوجود ويتسائل عن نشاة الحياة وسر الوجود.

3/ النزعة الإنسانية:

لقد تميز شعر إيليا بنزعة الإنسانية التي تحمل في طياتها أسمى معاني الإنسانية من محبة ورحمة ونشر المبادئ والمثل العليا ، وهدفها هو سعادة البشرية جمعاء وتتجلى لنا الإنسانية في اشعاره ونلمح ذلك في قصيدته ابتسم إذا يقول :

قال :السماء كئيبة وتجهما قلت ابتسم يكفي التجهم في السما

قال : الليالي جر عشي علقما قلت ابتسم ولو جرعت العلقما

فلعل غيرك إن رآك مرنما طرح الكآبة جانبا وترنما [2]

فالشاعر يفيض قلبه بالعاطفة ، والروح الإنسانية تبدو متغلغلة في أعماقه حيث يسعى لنشر المحبة ، والتفاؤل ويدعو إلى حب الوجود ونبذ التشاؤم

4/ حب الطبيعة :

فالشاعر إيليا من عشاق الطبيعة ، حيث أنه كان يلجئ إليها نظرا لعدم تلاؤمه مع الحياة المادية وصفيها لما فيها من تعقيد شديد فكان يجد راحته في الطبيعة فيعبر لها عن كل ما في نفسه من أحاسيس ومشاعر ، ويبثون همومهم ، وأحزانهم وأشواقهم داخل وعاء الطبيعة ويتجلى ذلك في قصيدة **السماء** يقول :

فسماء الراعي كما يتمناها مروج فسيحة خضراء

تلبس النبر مئزرا ووشاحا كلما أشرقت وغابت ذكاء

أبدا في نضارة ، لايجف العشب فيها ولا يغيض الماء[3]

---

[1]-عيسى الناوعري ، أدب المهجر ، ط3 مصر 1977-دار المعارف ص95.

[2]-احمد عوين ، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ، تقدم سعيدة حسين منصور ط1 ،الإسكندرية 2001 دار وفاء للطابعة والنشر ص83

[3]-عيسى الناوعري ،أدب المهجر ،ط3مصر 1977 ، دار المعارف ص98.

5/ براعة الوصف والتصوير :

فبراعة التصوير في الشعر إيليا ميزة من مميزاته الجميلة ، وتطفئ عليها عناصر الرقة واللطف والجمال ، وتترك في النفس أثار عميقة فجمع بين العاطفة الجياشة , والفكر والموجه ، وعمق التجربة والخيال الرحيب فيقول في القصيدة **أيها القلم** :

ماذا خبيت عليهم ،أيها القلم والله مافيك أف النصح والحكم

إني لا يحزنني أن يسحبوك وهم لولاك في الأرض لم تثبت لهم قدم

خلقت حرا كموج البحر منذ فعا فما القيود دوما الأصفاد واللجم ؟[1]

6/ البساطة في التعبير والرقة الغنائية :

فشاعر إيليا كان يتميز برقة ألفاظه وغير متكلف من ناحية العروض واللغة فهو يعتمد على البساطة والرقة ومن أمثلة ذلك قول أبي ماضي في قصيدة له بعنوان **شاعر مشهور** :

أبار ياشاعر الشهور وبسمة الحب في الدهور

وحالق الزهر في الروابي وخالق العطر في الزهور

وغامل الأفق والدراري والأرض ،وبالنور والعبير

أتيت فالكون مهرجان من الذات والحبور

انقضت في الأنفس الاحين والابتسامات في الثغور

وكدت تحي الموتى البوالي وتنبت العشب في الصخور

وتجعل التوك ذا أريج وتجعل الصخر ذا شعور

فأينما سرت صوت بشرى وكيفما ملت طيف نور[2]

والظاهرة من هذه الأبيات المقتطفة انه ليس حتما أن يتجرد الشعر من الوزن الواحد والقافية الواحدة لكي يكون غنائيا رقيقا ،وإنما الأصل فيه جمال الخيال . وبساطة التعبير والذوق المرهف الذي يعرف كيف يضع اللفظة الشاعرة المعبرة .دون تكلف أو جهد ،فكثيرة هي القصائد ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة لدى أبي ماضي ولكنها رائعة في غنائيتها ،وفي رقة ألفاظها وتعابيرها وغنية بالخيال والجمال والتعبير الشعري المباشرة ، دون أصاع ومساحيق[3].

1-إيليا أبي ماضي ،الديوان ،زهير ميرزا ،دراسة عن إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر بيروت ،دار العودة ص191
2--إيليا أبي ماضي ،الديوان ،زهير ميرزا ،دراسة عن إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر ببيروت ،دار العودة ص369
3-عيسى الناوعري ، أدب المهجر ط3 مصر 1977.دار المعارف ص106

*الفصل الثاني :

- دراسة الفنية لقصيدتا المساء والطلاسم أنموذجا

-المبحث1: قصيدة المساء

-المبحث 2 : قصيدة الطلاسم

❖ **ثانيا – دراسة تحليله للقصائد**

2-1قصيدة المساء:

تمثل قصيدة المساء مدرسة المهجر خير تمثيل سواء من المضمون أو في السمات الفنية أو في اللغة المستخدمة التي تعتمد على علاقات جديدة فنكسب الألفاظ فيها إبعاد نفسية تتعدى أحيانا كثيرة المعنى المعجمي.

وسنقف عند هذه القصيدة لنبين من خلال هذه القراءة:

- أفكار القصيدة وكيفية تعبير الشاعر عن هذه الأفكار .
- التصوير الفني.
- اللغة والأسلوب.
- العاطفة.
- الموسيقى والشكل الفني.

السُحُبُ تَركُضُ فِي الفَضاءِ الرَّحْبِ رِكْضَ الخائفين

والشَمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْراء عَاصِبَةَ الجَبِينِ

وَالبَحْرُ شاجٍ[1] صامَتٌ فَيهَ خُشُوعُ الزهيدين

لَكِنَمَا عَيْناكِ بَاهِتتَان فَي الأفق البَعِيد

سَلْمَى... بِمَاذا تُفَكِّرِين؟

سَلْمَى بِمَاذا تَحْلُمِين ؟

أرأيت أحلام الطُفُولَةِ تَخْتَفِي خَلْفَ التُخُوم

أمْ أبْصَرتْ عَيْناكِ أشباح الكُهُولَة فِي الغُيُوم

أمْ خفتِ آن يأتي الدُجَى الجانِي ولا تأتِي النُجومْ

أنَا لا أرَى مَا تلْمَحِين مِنَ المَشَاهِدِة إنّمَا [2]

---

[1]-شاج: السكن.
[2]-التخوم: الحدود

إضلالَهَا في نَاضِريْكَ

تَنِمُ يَا سلمى عَلَيْكِ

هَذِي الهواجِسُ لم تكُنْ مرْسومةً في مُقلَتَيْكِ

فلقَدْ رايتُكَ في الضُّحَى ورأيْتُهُ في وجَنْتيكِ

لكِنْ وجدْتُكِ في المساءِ وضعْتِ رأسَكَ في يَديْكِ

وَجلسْتِ في عيْنيْكِ الغازّ وفي النّفْسِ اكتِئابُ

مِثلَ اكتِئابُ الشَارِدين

سَلْمَى... بماذا تفكرين ؟

بالأرْضِ كَيْفَ هوَتْ عُروشُ النور في هضبتها

أمْ بالمرجِ الخضر سادَ الصمْتُ في جنابتها

أمْ بالعَصافِيرِ التي تعْدُو إلى وكنتها [1]

أمْ بالمَسَا؟

آنَّ المَسا يُخفِي المدائِنَ والقُرَى

والكوخَ والصرحَ المَكِينَ

والشوكُ مثل الياسَمِين

لاَ فَرْقَ عِنْدَ اللَيْلِ بَيْنَ النَهرِ والمُسْتَنقَعِ

يُخْفِي ابْتِساماتِ الطرُوبِ كادْمُعِ المُتَوَجِعِ

إن الجمالَ يغيبُ قبْل القُبْح تحت البرقُعِ

لكِنْ لماذَا تجزَعِين على النَّهارِ؟ وللدُّجَى

أحْلامُهُ ورغائِبُه

وسماؤُه وكوَاكِبُهُ

[1]-الوكنات : الأعشاش

إن كانَ قد سَترَ البلادَ سُهولها وعورها

لمْ يسْلُب الزهْرَ الأريجَ ولا المياهَ خَرِيرَها

كلاّ! ولأمنع النسائِمَ في الفضاءِ مسيرَها

مازالَ في الورقِ الحفيفُ وفي الصّبا أنفاسُهَا

للعندلِيب صداحُة

لأضفْره وجناحِه

أصْغِى إلى صوْت الجداوِل جارِياتٍ في السُفُوحِ

واسْتنشِقِي الأزْهارَ في الجَناتِ ما دامَتْ تفُوحُ

مِن قبْلِ أن يأتي زمانٌ كالضَبابَ أو الدُخانِ

لاْ تُبصِرينَ الغَدِيرَ

ولا يلذُ لكِ الحَريرُ

لِتَكُنْ حَياتُكِ كُلَّها آملاً جَمِيلاً طَيبًا

ولتمْلأ الأحْلامُ نَفْسكِ في الكُهولَة والصِبَا

لِيكُنْ يأمُرُ الحُبُّ قَلْبَكِ عالما في ذَاتِهِ

مِثْل الكّواكِبِ في السَّماءِ وكّالأزهِر في الرُّبَي

أزهارُهُ لا تَذْبُلُ

ونُجومُه لاَ تافَلُ

ماتَ النهارُ وابن الصّباحِ فَلا تقُولِي : كَيْف ماتَ ؟

إنَّ التأمُلَ فِي الحَيَاة يَزِيدُ الأمَ الحَيَاة

فَدَعِي الكآبة والأسَى، واسْترْجِعِي مرَحَ الفّتاة

قدْ كانَ وَجْهُكِ في الضُّحَى مِثلَ الضُّحَى مُتهلِلا

فِيهِ البَشاشَةُ والبَهاءُ

ليَكُن كذَلِكَ في المَسَاء.

أ- دراسة العنوان:

يعد العنوان مبتدأ العمل الإبداعي والعناصر المتبقية في النص خبر له ، ذلك أننا كثيرا ما نتشجع لقراءة كتاب ونتحمس له من عنوانه ، فالعنوان يعتبر جسرا رابطا وممرا للنص ودليلا على براعة صاحبه ، حيث كان أبو هلال العسكري يوصي الكتاب بتحير الإبتداءات إذا يقول :"أحسن معاشر الكتاب الإبتداءات فأنهن من دلائل البيان "[1] ونضرا لأهمية العنوان باغواءاته التي يثيرها ، وقضاياه التي يطرح أسس له علم جديد بأصوله ومفاهيم ومناهج هو (علم العنوان **(Tétralogie)**، "فهو عملية تتطلب ذكاءا وثقافة وطول تركيز وعادة ما تكون هذه العملية بعد فانتهاء من الكتابة النص"[1].

ويمكن أن يظهر العنوان في كلمة أو جملة ،ونجد أن الدواوين الشعرية تحتوي على نوعين من العناوين الفرعية ، وهي عناوين القصائد التي يحتويها ، وتهدف دراسة العنوان إلى تحديد الدلالات الحطاب افدني ، فأي عمل إبداعي يحمل مواقف وتجارب فكرية وشعرية تكشف معالم الخطاب الإبداعي.

ويستمد النص الشعري عند إيليا أبي الماضي بعنوان **"المساء"** ، فقد بات حديث الشعراء الرومانسيين عن صورة المساء في دواوينهم ، حيث الشاعر لواعجه وما يكابده ،وما بداخله من أشجان

وآلام ، فتجسدت صورة المساء ، وهي وقت المغيب ، حيث تمتلئ نفس الشاعر بالأم وتمتين عليه عاطفة الكآبة و الاغتراب ، فالشاعر يعيش الحزن بكل وجدانه **وقت المساء** فهو جزء من الطبيعة التي

لها حضورا قويا عند الشاعر.

ب- أفكار القصيدة وكيفية تعبير الشاعر عنها:

القصيدة على فكرة واحدة وهي الدعوة الإقبال على الحياة فهي بذالك تحمل أهم سمة من سمات الشعر الحديث وهي الوحدة الموضوعية التي أفرغت بقالب أدبي يجعلها مترابطة ترابطا عضويا ، فقد قسم

الشاعرة القصيدة إلى تسع مقاطع كل مقطع وكأنه بشكل فقرة مقال يفضي إلى الذي يليه بسلاسة وسهولة وترابط منطقي يستند إلى فكرة الكاتب الأصلية التي تشكل روح القصيدة، فقد بدأها بأجواء من التشائوم ليحرك مشاعر القارئ ويؤثر في أحاسيسه من حلال تصوير الطبيعة بهذه الصورة القائمة التي توحي إلى كل ماهو مأساوي ويائس ثم يتابع القراءة في نفس سلمى وما يدور في ذهنها وما يعتمل فير مرجل أحلامها من حيرة وقلق مما أصابها ليسألها عن حالتها التي هيا عليها فيأتي الشاعر أو محاولة التفسير في المقطع الذي يليه ، فيرى سلمى وكأنها واقفة على مفترق الطرق بين طفولتها وشيوخها وقد أحسست بذلك وغمرها طلك الإحساس بالتشاؤم ، الذي بدا وضوحه في المقطع الأول ،ولعل الشاعر قد أدرك سر هذا الأمر فأخذ يخاطبها بتلك الأسئلة التي يقذف بها في وجه سلمى أن يجعلها تدرك أن ماتعنيه من ألم القلق على المستقبل الآتي أنما هي مشكلة بداخلها وهي من صنعت تلك الأوهام وصورها وبتالي هي ليست حقيقة واقعية[1]

[1]-إيليا أبو ماضي ، الجداول ، قصيدة المساء ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص56.

فالشاعري حاول إن يبدد مخاوف سلمى باضهار فضائل الليل فهو مثل الناهر له أحلام يحلمها ورغائب يتوب إليها وله كالنهار سماء تضيئها النجوم فهو يغشى صاهر الأشياء ولا يزيل معالمها فيحفي السهول والأدوية لكنه لايمنع الزهر من بث عطره والمياه من السيل .،فالشجر مازال يرسل حفيفه الهادئ المؤنس.

وبعد إشادته بفضائل الليل دعاها إلى التنصيب إلى صوت الجداول التي مازلت تتابع سيرها وإلى التمتع بأريج الزهر والاستئناس بالنجوم مادمت تلمع في الأفق ، ويطلب منها أن تقيم على بشرها في أطوار حياتها جميعا تنعم بنعيم الحب الذي أزهاره ولا تغيب نجومه فلتحيا حياتها بدل أن تفكر فيها ولتفرح بالصباح والنهار والمساء وتقبل واقع الوجود وتضل نفسها فتية ضاحكة في فصول عمرها:

السُحُبُ تَركُضُ فِي الفَضاءِ الرَّحْبِ رَكْضَ الخائِفِينَ

والشَمْسُ تَبْدُو خَلْفَهَا صَفْراء عَاصبةَ الجَبِينِ

وَالبَحْرُ سَاج صامِتٌ فِيهِ خُشُوعُ الزاهِدِين

البَعِيد الأفُقِ فِي بَاهِتَتانِ عَيْناكِ لَكِنَمَا

تُفَكِّرِين؟ بِمَاذَا ...سَلْمَى

سَلْمَى بَمَاذا تَحْلُمِين؟[1]

الشاعر يصف الإقبال الليل وهو يزحف، والسحب تركض خائفة في الفضاء الرهيب كأنها تحشى أن يقبل الليل عليها بجحافله ، أو أن يتمثل لها شبح الظلام ، والشمس في الوقت الغروب تبدو صفراء شاحبة

اللون تتسلل إلى ما وراء الأفق في فتور وإعياء ، والبحر لااكد هادئ ، فيه روعة الخاشعين وجلال الزاهدين.

لكن يفاجئنا الشاعر يعيني محبوبته سلمى فعله يصور خوف هاتين العينين وخشوعهما البادي الذي جعلهما تحدقان في الأفق بحيرة وقلق في انتظار الأمل المنشود.

وقوله لكنما عيناك باهتتان في الأفق البعيد توحي بان هذا الوجود الحالم يتناقض مع تلك الألوان التي ساقتها مشاهد الطبيعة برغم أن تلك المشاهد تبعث هذا الوجوم[2] .

---

[1]-إيليا أبو ماضي ، الجداول ، قصيدة المساء ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص56.

[2]-أحمد يوسف خليفة، البنية الدرامية في شعر إيليا أبو ماضي، تقديم :عبد الرحمن الكردي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1 ، . 2004، ص27

أرَأيْتِ أخ لاَمَ الطُفُولَةِ تَخْتَفِي خَلْفَ التُخُوم

أمْ أبْصَرَتْ عَيْناكِ أشْباحَ الكُهُولَةِ في الغُيُوم

أمْ خفتِ أن يأتِي الدُجَى الجانِي ولا تأتِي النُجومْ

أنَا لا أرَى مَا تلْمَحِين مِنَ المَشَاهِدِ إنَّمَا

أظلالُهَا في نَاظِرَيْكِ

تَنِمُ يَا سَلْمَى عَلَيْكِ[1]

الرومانسيون دائمو الحنين إلى عهد الطفولة لأنها مفعمة بالأحلام[4] ،والشاعر في هذا المقطع يزاوج بين مظهرين من مظاهر الطبيعة ومرحلتين من حياة الفتاة، فالشمس الساطعة والأفق الجلي تقابلان الطفولة والصبا والشمس الشاحبة تقابل الكهولة والفتاة تتوقع الشؤم من حلول الليل خائفة أن تقبل عليها وتنطفئ الأحداق بلا نجوم، والشاعر هنا يرمز إلى الهرم الذي تتلألأ فيه نجوم الأمل.

هَذِه الهواجِسُ لم تكُنْ مرْسومةً في مُقلَتَيْكِ

فلقَدْ رأيتُكِ في الضُّحَى ورأيْتُهُ في وجْنَتيْكِ

لكِنْ وجدْتُكِ في المساءِ وضعْتِ رأسَكِ في يَديْكِ

وجلسْتِ في عيْنيْكِ ألغازٌ وفي النّفْسِ اكتِئابُ

مِثلَ اكْتئابِ الشَارِدين

سَلْمَى ...بِمَاذَا تُفَكِّرِين؟[2]

في هذا المقطع يستطرد الشاعر مقابلة بين ما كانت عليه في مطلع عمرها وما استحالت إليه، فهي في الضحى غيرها في المساء، فقد رمز للضحى بالشباب والحيوية والنضارة والأمن والأمان وهي صورة تقابل صور المساء التي رمز إليها بالاكتئاب والحيرة[3].

[1]-أحمد محمد عوين، الطبيعة الرومانسية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، ط 2001 .1 ، ص 87 ،

[2]-عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر، مكتبة الشباب، المنيرة، ط1، 1992 ، ص383

[3]-إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة المساء ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص56.

فلقد كانت في مطلع عهدها بالعمر متآلفة ، وينعكس ذلك على وجهها وجنيتها إل أنها عندما واجهة المساء عرتها الهواجس ، وانحنت مفكرة حائرة تضع رأسها بين يديها فهو مشهد يكثف كثرة الغموض وتزاحمها وانفرادها بالإنسان فلا يماك إلا تلك النضرات التي عن المعاناة الداخلية[1].

والشاعر هنا يقصد أن الإنسان يكون سعيدا عندما يحيا حياته مقتصرا فيها على حدود الحاضر دون أن يتمثل شبح المستقبل لأن غد أي إنسان مهما كانت حالته هو واحد وهو غد الموت، ولقد سألها الشاعر مكررا(سلمى ...بماذا تفكرين؟) فهو يدرك أنها تفكر بنهاية حالها وهو في هذا المقطع يشتمل على صورتين متناقضتين صورة الفتاة في مقتبل عمرها، وهي صورة ضاحكة يستطع فيها الحسن، وامرأة كهله مربدة القسمات باهتة العينين تغمرها الحيرة والألغاز.

بالأرْضِ كَيْفَ هوَتْ عُروشُ النور في هضبتها

أم بالمرجِ الخضر سادَ الصمْتُ في جنابتها

أمْ بالعَصافِيرِ التي تعْدُو إلى وكنستها

أمْ يا لمَسَا؟

إنَّ المَسا يُخفِي المدائِنَ والقُرَى

والكوخَ والصرحَ المَكِينَ

والشوكُ مثل الياسَمِين

ونستمر مع حوار الشاعر لسلمى: **فنراه** ينتقل من التساؤل العام الذي يختم به كل مقطع من مقاطع القصيدة (سلمى ...بماذا تفكرين؟) إلى تساؤلات خاصة، يضع خلالها خيارات لذلك التفكير اليائس المحيط بسلمى، ومحطم بسمتها التي كانت عليها قبلا.

فالنور ذلك السلطان المتألق على عرشه، والمزهوة به الأرض ومملكتها ما لبث أن جاءه المساء يقبض عرشه ومحمى بهاء الأرض البادي على حضانتها ، وقد حمل النور وعرشه قيمة رمزية ، صار فيها يدل على الثبات وما فيه من زهور ونضارة وقوة وأحلام وآمال ، وحينما يولي الشباب يموت كل ذلك، ويبقى الإنسان مفجوعا حزينا على ما مضى وتأتي للمساء ...الذي يرمز هنا مثلما ما مضى للكهولة التي لا ينجو منها الإنسان، بعد ذلك نرى المساء يتحول إلى ذلك المظهر من مظاهر الطبيعة [2].

---

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة المساء ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص56.

[2]-أحمد يوسف خليفة، البنية الدرامية في شعر إيليا أبو ماضي تقديم :عبد الرحمن الكردي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1 ، . 2004،

فالشاعر يعزي تلك الفتاة عن أساها بالقول إن المساء ناموس عام من نواميس الطبيعة تخضع له الأشياء والأحياء فتتساوى بين يديه، إنه يعزيها غزاة المساواة في المصيبة الجامعة، فالمساء حين يقبل يغمر المدينة والقرية فيساوي بينهما ويساوي بين العينة والفقير، بين الكوخ والصرح المكين، يرمز الأول إلى الصغر والهوان والثاني إلى القوة والتفوق وكذلك يلم بين الشوك والياسمين أي بين القبح .والجمال[1].

فَرْقَ عِنْدَ اللَيْلِ بَيْنَ النَهْرِ والمُسْتَنْقَعِ

يُخْفِي ابْتِساماتِ الطرُوبِ كأدْمُعِ المُتَوَجِعِ

إنّ الجمالَ يغيبُ قبْل القُبْح تحت البرقُعِ

لكِنْ لماذَا تجزَعِين على النَّهارِ؟ وللدُّجَى

أحْلامُهُ ورغائِبُه

وسماؤُه وكوَاكِبُه[2].

في هذه المقطوعة يظهر فضائل الليل فماذا تعني مساواته بين النهر والمستنقع والجمال والقبح؟ إنها تعني السلام وتاهدوء إذا يدرك المرء أن مايتفاضل به أبناء النهار لا وجود له في أحضان الليل ، وكأنه يدعو الإنسان بذلك إلى الاتعاظ والفطنة وتمثل ما سوف تؤول إليه أحواله وما يتفاخر ويتعاظم به ، فليل الهرم سيغشاها وسيطبق عليها ويتساوي في ظلمة قبره الوي والضعيف والحقيرة والعضيم ، فيدعوها إلى عدم الجزع من الليل مادامت له أحلامه ورغباته وسماؤه وكواكبه.

إن كانَ قد سَترَ البلادَ سُهولها وعورها

لمْ يسْلُب الزهْرَ الأريجَ ولا المياهَ خَرِيرَها

كلا ! ولا مَنعَ النسائِمَ في الفضاءِ مسِيرَها

ما زالَ في الورقِ الحفيفُ وفي الصّبا أنفاسُهَا

للعندلِيب صداحُه

لأظفْرِه وجناحِه

أصغي إلى صوْت الجداوِل جارِياتٍ في السُفُوحِ

---

[1]- .إيليا الحاوي، إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل،دار الكتاب البناني1972 ص220.

[2]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة المساء ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص56.

يتابع في هذا المقطع إظهار فضائل الليل فهو يقضي على الظاهر المتألق من الأشياء ولكنه لا يأتي عليها ولا يجهز على حقيقتها وجوهرها، فهو لم يسلب الزهرة أريجها ولا المياه خريرها، فالليل يخفي الزهر على الأعين لكن لا يمنع من انتشار أريجها في الهواء، وفي كل ذلك إشارة إلى أن الهرم قد يخفي سمات الجمال في وجه الإنسان أي أنه يغير في الشكل لكنه لا يمس الجوهر فيبقى للإنسان إنسانيته وجذوة الخير فيه، وأريج المحبة للناس، فشاعرنا هنا ذكر مشائد الليل لأجل إقناع الفتاة بالرضا بواقع الوجود وبذلك تبرز لنا النزعة التفاؤلية عند أبي ماضي بخلاف سائر الرومانسيين الذين لا يجدون في العالم إلا الرعب والسأم والهلاك.

واسْتنشِقِي الأزْهارَ في الجَناتِ التي دامَتْ تفُوحُ

وتَمتَّعِي الشُهُب في الأفْلاكِ ما دامَتْ تلُوحُ

مِنْ قبْلِ أن يأتِي زمانٌ كالضَبابَ أو الدُخانِ

تُبصِرينَ بِهِ الغَديرَ

ولا يلذُ لكِ الحَريرُ

يطلب منها أن تطرح عنها همومها وأن تمنع نفسها بما في ليلها من جمال فتصغي إلى صوت الجداول وتستنشق نسيم الأزهار وتبصر الشهب سابحة في أجواء الفضاء قبل أن ينزل ساحتها الموت. ويحل العدم والفناء[1].

ويطلب منها أن تنسى ما هي عليه وأن تذهب إلى الطبيعة وأن تصغي إلى خرير السواقي وعطرها الفواح وتتمتع بكل ما هو جذاب في الطبيعة والأفلاك وأن تكون حياتها كلها آمالا وأحلامها جميلة ، قبل أن يأتي زمن الكهولة الذي أشار إليه بومان الضباب والدخان ولا تبصرين فيه شيء.

لِتَكُنْ حَياتُكِ كُلَّها أملاً جَمِيلاً طَيِبَا

ولتمْلأ الأحْلامُ نَفْسَكِ في الكُهولَة والصِّبَا

لِيكُنْ يأمُرُ الحُبُّ قَلْبَكِ عالما في ذَاتِهِ

مِثْل الكَواكِبِ في السَّماءِ وكَالأزهار في الربي

أزهارُهُ لا تَذْبُل

ونُجومُه لاَ تأفَلُ[2].

---

[1]-إيليا أبو ماضي، الجداول،قصيدة المساء، دار اعالم الملايين،بيروت لبنان ط16 1984 ص95.

[2] - .الناعوري عيسى، أدب المهجر،دار المعارف مصر ،ط2 ص392 .

في هذا المقطع نجد الشاعر يطلب من سلمى أن لا تفكر في الحياة فالتفكير فيها يبعث على الإحساس بآلامها، ويقول:« دعي الكآبة والأسى وعودي إلى مرحك القديم في صحوة النهار،ولتكن حياتك مليئة بالآمال والأحلام الجميلة والتفاؤل»،وأن تبتعد عن واقع الحياة القاسي فقد دعاها إلى أن تكون حياتها دائمة الضياء كالكوكب ودائمة التفتح كالزهرة في الربا.

لا شك أن أبا ماضي قد وصل إلى منتهى نضجه الشعري فغي ديوانه الجداول والخمائل ومن قبله في قسم كبير من قصائد الجزء الثاني من دواوينه الثلاثة غنيّة بالقصائد الجياد التي تعد من عيون الشعر والتي تمتاز بغنائها في الوافر في الشعور الإنساني وفي الإحساس بالطبيعة والحياة ولطف أسلوبها وبعد خيالها وجمال صورها مما يندر أن يجتمع كله لشاعر واحد ، ولذلك لا غرابة أن يتردد اسم الشاعر الفذ في الوطن والمهاجر الأمريكية بملأ الإعجاب وأن تتلاف قصائده الأيدي وتتغنى بها الألسنة مخلدة مبدعها.

إن إيليا من بين إخوانه في الرابطة القلمية« أكثر نظما وأطولهم في شعره نفساً وأكثرهم استعمالاً للقافية الواحدة وأوفرهم نظماً للمطولات الشعرية»[1] فله منها ثلاث مشهورات هي الطلاسم والحكاية الأزلية والشاعر والسلطان الجائر، وهو في كل هذه موفق ومجيد إلى أبعد الحدود.

أما الشاعر والسلطان الجائر فقد سبق لنا أن تطرقنا إليها والطلاسم والحكاية الأزلية فموضوع حديثنا.

لقد كان معظم إنتاج شاعرنا متسربلا أثواب التأمل والبحث والشك الحائر حتى تكاد تكون النزعة التأملية ملهمته الكبرى ولا عجب في ذلك إذا كان من أعضاء الرابطة القلمية التي يشترك أعضائها في ميزة كبرى وهي أن أدبهم «مستمد من صميم الحياة والنفس البشرية فطول تأملهم في خفايا الحياة ومنازع النفس البشرية جعلهم ينتجون إنتاجهم الأدبي السجي المثقل بالعناقيد النواضج والثمار الزواهي»[2].

2– 3قصيدة الطلاسم :

جِئْتُ لاَ أَعْلَمُ مِنْ أيْنَ ولكِنِّي أتَيْتُ

وَلَقَدْ أبْصَرْتُ قُدَامِي طَرِيقاً فَمَشَيْتُ

وسأبقى سائرا إن شئت هذا أمأبيت

كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أبْصَرْتُ طَرِيقِي[3]؟

لَسْتُ أدْرِي

---

[1]- الناعوري عيسى، أدب المهجر،دار المعارف مصر ط 2 ص 289،288.

[2]- المرجع نفسه، ص392 .

[3]- شوقي ضيف، دراسات في الشعرالعربي المعاصر،مكتبة الدراسة الادبية ، المعارف ط1975 5 ص186 .

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا حر طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكن

لَسْتُ أدْرِي

وطريقي ما طريقي ؟أطويل أم قصير ؟

هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور

أنَا السَّائِرُ فِي الدَّرْبِ أمْ الدَّرْبُ يَسِيرُ

أمْ كِلاَنَا واقفان وَالدَّهْرُ يَجْرِي...

لَسْتُ أدْرِي

لَيْتَ شِعْرِي وَأَنَا فِي عَالَمِ الغَيْبِ الأمِينِ

أَتُرَانِي كُنْتُ أدْرِي أنَّنِي فِيهِ دَفِينُ

وَبِأَنِّي سَوْفَ أبْدُو وَبِأَنِّي سَأكُونُ

أمْ تُرَانِي كُنْتُ لاَ أُدْرِكُ شَيْئًا

لَسْتُ أدْرِي

أَتُرَانِي قَبْلَمَا أصبحْتُ إنسانا سوي

كُنْتُ مَحْواً أو مُحَالاً أمْ تُرَانِي كُنْتُ شَيَا

ألهذا اللغز أم سيبقى أبديا

لست أدري ... ولماذا لست أدري[1]

لست أدري

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ، دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص141 .

قد سألت البحر يوما هل أنا يا بحر منكا؟

أ صحيح ما رواه بعضهم عني وعنكَا ؟

أم ترى ما زعموا زورا وبهتانا وأفكا ؟

ضحكت أمواجه مني وقالت : لست أدري

أيها البحر أتدري كم مضت ألف عليكا

وهل الشاطئ يدري أنه جاث ليدكا

وَهَلِ الأنْهَارُ تَدْرِي أنَّهَا مِنْكَ إليك

مَا الَّذِي الأمْوَاجُ قَالَتْ حِينَ ثَارَتْ؟

لَسْتُ أدْرِي

أنْتَ يَا بَحْرُ أسِيرُ آهٍ مَا أعْظَمَ أسْرَكَ

أنْتَمِ ثْل ي أ أيها ألج بّارُ لاَ تَمْلِكُ أمْرَكَ

أشْبَهَتْ حَالُكَ حَالِي وحكي عُذْرُكَ عُذْرِي

فَمَتَى أنْجُو مِنَ الأسْرِ وَتَنْجوُ؟

لَسْتُ أدْرِي[1]

تُرْسِلُ السُّحُبَ فَتَسْقِي أرْضَنَا ولشجرا

قَدْ أكَلْنَاكَ وَقُلْنَا قَدْ أكَلْنَا الثمار

وَشَرِبْنَاكَ وَقُلْنَا قَدْ ضَرِبْنَا المَطَرَا

أصوابا مَا زَعَمْنَا أمنْ ضَلاَلُ

لَسْتُ أدْرِي

قَدْ سَألْتُ السُّحُبَ فِي الآفَاقِ هَلْ تَذْكُرُ رَمْلَكَ

وَسَألْتُ الشَّجَرَ المُورِقَ هَلْ يَعْرِفُ فَضْلَكَ

---

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص142 .

وَكَأَنّي خِلْتُهَا قَالَتْ جَمِيع:

لَسْتُ أدْرِي

يَرْقُصُ المَوْجُ وَفِي قَاعِكَ حَرْبٌ لَنْ تَزُولا

تَخْلُقُ الأسْمَاكَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الحُوتَ الأَكُولا

قَدْ جَمَعْتَ المَوْتَ فِي صَدْرِكَ وَالعَيْشَ الجميل

لَيْتَ شِعْرِي أنْتَ مَهْدٌ أمْ ضَرِيحُ؟

لَسْتُ أدْرِي

كَمْ فَتَاةً مِثْلَ لَيْلَى وَفَتىً كَابْنِ المُلَوَّحِ

أنْفَقَا السَّاعَاتِ فِي الشَّاطِئِ تَشْكُو وَهُوَ يَشْرَحُ

كُلَّمَا حَدَّثَ أصْغَتْ وَإذَا قَالَتْ تَرَنَّحَ

أحَفِيفُ المَوْجِ سِرٌّ ضَيَّعَاهُ؟

لَسْتُ أدْرِي

كَمْ مُلُوكٍ ضَرَبُوا حَوْلَكَ فِي اللَّيْلِ القباب

طَلَعَ الصُّبْحُ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ الأرض بَابَا

أَلَهُمْ يَا بَحْرُ يَوْماً رَجْعَةٌ أمْ لاَ مَآبَا

أهُمْ فِي الرَّمْلِ؟ قَالَ الرَّمْلُ

إنّي لَسْتُ أدْرِي[1]

فيكَ مِثْلي أ يُّهالجَ بّارُأصْ داف رَمْل

إنَّمَا أنتَ بِلاَ ظِلٍّ ولِي في الأرْضِ ظِلُّ

إنَّمَا أنتَ بِلا عَقْلٍ ولِي يَا بَحْرُ عَقْلُ

فَلِماذَا يَا تُرَى أمْضِي وتَبْقَى؟

لَسْتُ أدْرِت

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص143 .

يَا كِتَابَ الدَّهْرِ قُلْ لِي أَلَهُ قَبْلُ وَبَعْدُ

أنَا كَالزَّوْرَقِ فِهِ وَهُوَ بَحْرٌ لاَ يُحَدُّ

لَيْسَ لِي قَصْدٌ، فَهَلْ لِلدَّهْرِ فِي سَيْرِي قَصْدُ؟

حَبَّذَا العِلْمُ وَلَكِنْ كَيْفَ أدْرِي؟

لَسْتُ أدْرِي

إنَّ فِي صَدْرِي يَا بَحْرُ لأسرار عُجَابَا

نَزَلَ السِّتْرُ عَلَيْهَا وَأنَا كُنْتُ الحجاب

وَلِذَا أزْدَادُ بُعْداً كُلَّمَا ازْدَدْتَ اقترابا

وَأرَانِي كُلَّمَا أوْشَكْتُ أدْرِي

لَسْتُ أدْرِي

إنَّنِي يَا بَحْرُ، بَحْرٌ شَاطِئَاهُ شَاطِئَاكَ

الغَدُ المَجْهُولُ وَالأمْسُ اللذين اكِتَنَفَاكَ

وَكِلاَنَا قَطْرَةٌ يَا بَحْرُ فِي هَذَا وَذَاكَ

لاَ تَسَلْنِي مَا غَدُ، مَا أمْسُ؟

إنّي لَسْتُ أدْرِي[1]

قِيلَ لِي فِي الدّيرِ قَوْمٌ أدْرَكُوا سِرَّ الحَيَاة

غَيْرَ أنّي لَمْ أجِدْ غَيْرَ عُقُولٍ آنسات

وَقُلُوبٌ بَلَيْتَ فِيهَا المُنَى فَهِيَ رُفَاتْ

مَا أنَا أعْمَى فَهَلْ غَيْرِي أعْمَى؟

لَسْتُ أدْرِي

قِيلَ :أدْرَى النَّاسِ بِالأَسْرَارِ سُكَّانُ الصَّوَامِعِ

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص144 .

قُلْتُ :إنْ صَحَّ الّذِي ق ألوا فأن السِّرَ شَائِعُ

عَجَباً كَيْفَ تَرَى الشَّمْسَ عُيُونٌ فِي بَرَاقِعِ

وَالَّتِي لَمْ تَتَبَرْقَعْ لاَ تَرَاهَا؟

لَسْتُ أدْرِي

إنْ تَكُ العُزْلَةُ نُسُكاً وتقي، فَالذّنْبُ رَاهِبٌ

وَعَرِينُ اللَّيْثِ دِيرٌ حبُّهُ فَرْضٌ وَوَاجِبٌ

لَيْتَ شِعْرِي أَيُمِيتُ النُّسُكَ أمْ يُحْيِي المَوَاهِبَ؟

كَيْفَ يَمْحُو النُسُكُ إثْماً وَهُوَ إثْمُ؟

لَسْتُ أدْرِي

إنَّنِي أبْصَرْتُ فِي الدّيرِ وُرُوداً فِي سِيَاجٍ

قَنِعَتْ بَعْدَ النَّدَى الطَّاهِرِ بِالمَاءِ الأُجَاجِ

حَوْلَهَا النُّورُ الَّذِي يُحْيِي، وَتَرْضَى بِالدّيَاجِي

أمِنَ الحِكْمَةِ قَتْلُ القَلْبِ صَبْراً؟

لَسْتُ أدْرِي

قدا دَخَلْتُ الديرَ أسْتَنْطِقُ الناسكين

فَإذَا القَوْمُ مِنَ الحِيرَةِ مِثْلِي بَاهِتُونَا

غَلَبَ اليَأْسُ عَلَيْهِمْ فهُمْ مُسْتَسْلِمونَا

وإذَا بِالبَابِ مكْتُوبٌ عَلَيْهِ[1]

لَسْتُ أدْرِي

عَجَباً لِلنّاسِكِ ألقنت وَهُوَ اللّوذعِيّ

هَجَرَ النَّاسَ وَفِيهِمْ كُلُّ حُسْنِ المُبْدِعِ

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص145 .

وَمَضَى يَبْحَثُ عَنْهُ فِي المَكَانِ البلْقُعِ

أَرَأَى فِي القَفْرِ مَاءً أمْ سَرَاباً؟

لَسْتُ أدْرِي

كَمْ تُمَارِي أيُّهَا النَّاسِكُ فِي الحَقِّ الصَّرِيخِ

لَوْ أرَادَ اللهُ أنْ لاَ تَعْشَقَ الشَيْءَ المَلِيحَ

كَانَ إذْ سواك بِلاَ قَلْبٍ وَرُوحِ

فَالَّذِي تَفْعَلُ إثما ...قَالَ أني...

لَسْتُ أدْرِي

أيُّهَا الهَارِبُ أن العَارَ فِي هَذَا الفِرَارِ

لاَ صَلاَحٌ فِي الَّذِي تَصْنَعُ حَتَى لِلْقَفَارِ

أنت جَانٍ أيُّ جَانٍ، قَاتِلٌ فِي غَيْرِ ثَارِ

أفَيَرْضَى اللهُ عَنْ هَذَا وَيَعْفُو؟

لَسْتُ أدْرِي

بين المقابر:

وَلَقَدْ قُلْتُ لِنَفْسِي وَأنَا بَيْنَ المَقَابِرِ

هَلْ رَأيْتِ الأمْنَ وَالرَّاحَةَ إلاَّ فِي الحَفَائِرِ

ف أشَارَتْ فَإذَا لِلدُّودِ عيثٌ فِي المَحَاجِرِ

ثُمَ قَالَتْ :أيُّهَا السَّائِلُ أني:

لَسْتُ أدْرِي

انْظُرِي كَيْفَ تَسَاوَى الكُلُّ فِي هَذَا المَكَانِ[1]

وَتَلاَشَى فِي بَقَايَا العَبْدِ رَبُ الصَوْلَجانِ

وَالْتَقَى العَاشِقُ وَالقَالِي فَمَا يَفْتَرِقا

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص146 .

أفهد مُنْتَهَى العَدْلِ؟ فَقَالَتْ :

لَسْتُ أدْرِي

إنْ بك المَوْتُ قِصاصاً، أيُّ ذَنْبٍ لِلطَّهَارَة

وَإذَا كَانَ ثَوَاباً، أيُّ فَضْلٍ لِلدَّعَارَة

وَإذَا كَانَ يَوْمَا وَمَا فِيهِ جَزَاءٌ أوْ خَسَارَة

فَلِمَ الأسْمَاءُ إثْمٌ وَصَلاَحْ؟

لَسْتُ أدْ رِي

أيُّهَا القَبْرُ تَكَلَّمْ، وَأخْبِرنِي يَا رمَامْ

هَلْ أطوى أحْلاَمَكَ المَوْتُ وَهَلْ مَاتَ الغَرَامْ؟

مَنْ هُوَ المَائِتُ مِنْ عَامٍ وَمِنْ مِلْيُونِ عَامِ؟

أيَصِيرُ الوَقْتُ فِي الأرْمَاسِ مَحْواً؟

لَسْتُ أدْرِي

إنْ أكُنْ أُبْعَثُ بَعْدَ المَوْتِ جُثْمَاناً وَعَقْلا

أتُرَى أُبْعَثُ بَعْضاً أمْ تُرَى أُبْعَثُ كُلا

أتُرَى أُبْعَثُ طِفْلاً أمْ تُرَى أُبْعَثُ كَهْلا

ثُمَّ هَلْ أعْرِفُ بَعْدَ البَعْثِ ذَاتِي؟

لَسْتُ أدْرِي

يَا صَدِيقِي لاَ تُعَلِّلْنِي بتَمْزِيقِ السُتُورِ

بعْدَمَا أقْضِي، ف عَقْلِي لاَ يبُالِي بِالقُشُورِ

إنْ أكُنْ فِي حَالَةِ الإدْراكِ لاَ أدْرِي مَصِيرِي

كَيْفَ أدْرِي بعْدَما أفْقِدُ رُشْدِي؟

لَسْتُ أدْرِي[1]

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص147 .

القصر والكوخ:

وَلَقَدْ أبْصَرْتُ قَصْراً شَاهِقاً عَالِيَ القِبَابِ

قُلْتُ مَا شَادَكَ مَنْ شَادَكَ إلاَّ لِلْخَرَابِ

أنْتَ جُزْءٌ مِنْهُ لَكِنْ لَسْتَ تَدْرِي كَيْفَ غَابَ

وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ مَا تَحْوِي، أَيَدْرِي...

لَسْتُ أدْرِي

كَمْ قُصُوراً خَالَهَا البَانِي سَتَبْقَى وَتَدُومُ

ثَابِتَاتٍ كَالرَّوَاسِي، خَالِدَاتٍ كَالنُّجُومِ

سَحَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهَا ذَيْلَهُ ف هِيَ رُسُومُ[1]

مَالَنَا نَبْنِي وَمَا نَبْنِي لِهَدْمٍ

لَسْتُ أدْرِي

سَائِلِ الفَجْرَ :أعِنْدَ الفَجْرِ طِينٌ وَرُخَام

وَاسْأَلِ القَصْرَ : ألاَ يُخْفِيهِ كَالكُوخِ الظَّلاَمُ؟

واسْأَلِ الأنْجُمَ وَالرِّيحَ وَسَلِ صَوْبَ الغَمَامِ

أَتُرَى الشَيْءُ كَمَا نَحْنُ نَراهُ؟

لَسْتُ أدْرِي

الفكر:

رُبَّ فِكْرٍ لاَحَ فِي لَوْحَةِ نَفْسِي وَتَجَلَّى

خِلْتُهُ مِنِّي وَلَكِنْ لَمْ يُقِمْ حَتَّى تَوَلَّى

مِثْلَ طَيْفٍ لاَحَ فِي بِئْرٍ قَلِيلاً واضْمَحَلا

كَيْفَ وَافَى وَلِمَاذَا فَرَّ مِنِّي؟

---

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص148 .

لَسْتُ أدْرِي

صراع وعراك:

إنَّنِي أَشْهَدُ فِي نَفْسِي صِرَاعاً وعِرَاكاً

وَأرَى ذَاتِي شَيْطَاناً وَأحْيَاناً مَلاكَا

هَلْ أنَا شَخْصَانِ يَأْبَى ذَاكَ مَعَ هَذَا اِشْتِرَاكَا

أَمْ تُرَانِي وَاهِماً فِيمَا أَرَاهُ؟

لَسْتُ أدْرِي

أيْنَ ضَحِكِي وَبُكَائِي وَأنَا طِفْلٌ صَغِ يرٌ

أيْنَ جَهْلِي وَمَرَاحِي وأنَا غَضٌّ غَرِيرُ

أيْنَ أحْلاَمِي وَكَانَتْ كَيْفَمَا سِرْتُ تَسِيرُ

كُلُّهَا ضَاعَتْ وَلَكِنْ كَيْفَ ضَاعَتْ؟

لَسْتُ أدْرِي

رُبَّ قُبْحٍ عِنْدَ زَيْدٍ هُوَ حُسْنٌ عِنْدَ بَكْرِ

فَهُمَا ضدين فِيهِ وَهُوَ وَهْمٌ عِنْدَ عَمْرُو

فَمَنِ الصَّادِقُ فِيمَا يَدَّعِيهِ لَيْتَ شِعْرِي

وَلِمَاذَا لَيْسَ لِلْحُسْنِ قِيَاسُ[1]؟

لَسْتُ أدْرِي

قَدْ رَأيْتُ الحُسْنَ يُنْسَى مِثْلَمَا تُنْسَى العُيُوبُ

وَطُلُوعُ الشَّمْسِ يُرْجَى مِثْلَمَا يُرْجَى الغُرُوبُ

وَرَأيْتُ الشَّرَّ مِثْلَ الخَيْرِ يَمْضِي وَيَؤُوبُ

فَلِمَاذَا أحْسَبُ الشَّرَ دَخِيلاً؟

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص149 .

لَسْتُ أدْرِي[1]

إنَّ هَذَا الغَيْثَ يَهْمِي حِينَ يهْمِي مَكْرُهَا

وَزُهُورُ الرَّوْضِ تُفْشِي مُجْبَرَاتِ عِطْرِهَا

لاَ تُطِيقُ الأرْضُ تُخْفِي شَوْكَهَا أوْ زَهْرَهَا

لاَ تَسَلْ أيَّهُمَا أشي وَأبْهَى؟

لَسْتُ أدْرِي

قدْ يَصِيرُ الشوكُ إكْليلاَ لملِكٍ أوْ نبيٍّ

وَيَصِيرُ الوَرْدُ فِي عُرْوَة لِصٍّ أوْ بَغِيٍّ

أَيَغَارُ الشَوْكُ فِي الحَقْلِ مِنَ الزَهْرِ الجنيِّ

أمْ تُرَى يَحْسبُهُ أحْقَرَ مِنْهُ؟

لَسْتُ أدْرِي

قَدْ رَأَيْتُ الشُّهُبَ لا تَدْرِي لِمَاذَا تُشْرِقُ

وَرَأَيْتُ السُّحُبَ لاَ تَدْرِي لِمَاذَا تُغْدِقُ

وَرَأَيْتُ الغَابَ لاَ تَدْرِي لِمَاذَا تُورِقُ

فَلِمَاذا كُلُّهَا فِي الجَهْلِ مِثْلِي؟

لَسْتُ أدْرِي

فِيَّ مِثْلُ البَحْرِ أصْدَافٌ ورملا وَلآلِ

فِيَّ كَالأرْضِ مُرُوجٌ وسُفُوحٌ وَجِبَالٌ

فِيَّ كَالجَوِّ نُجُومٌ وَغُيُومٌ وَظِلاَلُ

هَلْ أنَا أرْضٌ وَبَحْرٌ وَسَمَاءُ؟

لَسْتُ أدْرِي[1]

[1]- .إيليا أبو ماضي، الجداول،، قصيدة الطلاسم ،دار العالم الملايين ، بيروت لبنان ،ط 16 1984 ص150 .

قَدْ رَأيْتُ النَّمْلَ يَسْعَى مِثْلَمَا أسْعَى لِرِزْقِي

قَدْ تَسَاوَى صَمْتُهُ فِي نَظَرِ الدَّهْرِ وَنُطْقِي

فَكِلاَنَا صَائِرٌ يَوْماً إلَى مَا؟

لَسْتُ أدْرِي[1]

غَلَطَ القَائِلُ إنَّ الخَمْرَ بِنْتُ الخَابِيَة

فَهِيَ قَبْلَ الزقِّ كَانَتْ فِي عُرُوقِ الدَّالِيَة

وَحَوَاهَا قبلة رَحِمِ الكُرُمِ رَحِمُ الغادي

إنَّمَا مِنْ قَبْلِ هَذَا أَيْنَ كَانَتْ؟

لَسْتُ أدْرِي[1]

هِيَ فِي رَأسِي فِكْرَةٌ وَهِيَ فِي عَيْنِي نُورُ

وَهِيَ فِي صَدْرِي آمَالٌ، وَفِي قَلْبِي شُعُورُ

وَهِيَ فِي جِسْمِي دَمٌ يَسْرِي فِيهِ وَيَمُورُ

إنَّمَا مِنْ قَبْلِ هَذَا أَيْنَ كَانَتْ؟

لَسْتُ أدْرِي

أنَا لاَ أذكرُ شيْئاً عَنْ حَياتِي المَاضِيَة

أنَا لاَ أعْرِفُ شيْئاً مِنْ حَياتِي الآتية

لِي ذَاتٌ غيْرَ أنّي لَسْتُ أدْرِي مَاهِيَهْ

فمَتَى تعرفُ ذاتِي كُنْهَ ذَاتِي؟

لَسْتُ أدْرِي

إنّي جِئْتُ وأمْضِي، وَأنَا لاَ أعْلَمُ

أنَا لُغزٌ وذَهابِي كَمَجِيءِ طَلْسَمُ

[1]- مَجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ط02، 1973م، ص90.

وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللُغزَ لُغْزٌ مُبْهمَ

لاَ تُجَادِل ... ذُو الحِجَا منْ قَالَ إنّي

لَسْتُ أدْرِي

أ-دراسة العنوان:

جاء في المعجم الوسيط.

طلسم :أطرق وعبس، والساحر ونحوه:كتب طلسما، والشيء عمل له طلسما[1].

وكلام الصوفية :سر مطلسم وحجاب مطلسم، غامض الطلسم) :في علم السحر(، خطوط وأعداد وهو لفظ يوناني لكل ماهو غامض مبهم كالألغاز والأحاجي، ويقال فك طلاسمه أو طلسمه، وضحه وفسره(ج.طلاسم).[1]

تحمل الطلاسم بداية معنى الإطلاق والعبوس، وهي حالة يتخيل فيها إيليا يائسا حائرا، يسأل ذاته فلا تجيب، ويسأل البحر فلا يجيب، ويستدعي ذكريات طفولته فلا تستجيب.

نضم إيليا القصيدة متسائلا عن سر مبهم ،بدأ وأنهى وهو لا يعلم ، إذا لم يدرك حقيقة ذاته ولا من أين أتت ، ولا متى سترحل ، لم يكتشف حريتها من تقييدها ، وهل لرحيلها نهائي أم مؤقت ولا كيف كانت قبل أأن توجد ، كل ذلك بقي غامضا مضلما لايلوح بجانبه النور ، لذا خرحت ذات إيليا من التجربة الشعرية ، كما بدأت "طلسما".

من هنا حق للشاعر نعت قصيدته بالطلاسم، لا لغموضها بل لبحثها فيما هو غامض، ولربطها لأمور علوية ميتافيزيقية بأجزاء سفلية أرضية، كالطبيعة، والقصر، والكوخ، والبحر...

ب -البعد الفلسفي والاجتماعي للقصيدة:

الذي تنطوي عليه حقيقة نفسه والوجود والحياة ولا يمكّنه قلبه أن يكشف عنها الحجاب فانحدر إلى ضرب من التساؤل المستمر الذي لا يطمئن ولا يرسو على ساحل فلم يجد ما يريح باله غير هذا تعتبر آية في الشك والضيق والإشفاق منه « الجواب" لستُ أدري "وتلك هي قصيدة الطلاسم، التي« تعتبر آية في الشك والضيق والإشفاق منه والضطرار غليه ولست أغلو – كما يقول طه حسين – إن قلت أنها خير ما في هذا الديوان»[2]

وتصور هذه القصيدة حيرته أمام الكون وتكشف عن شعوره العميق بقصور عقله عن التغلغل في الحقائق الأشياء واستجلاء صفاتها وعلاقاتها ومصدر وجودها وهي خلاصة ما تمخض عنه تفكير أبي

ماضي في هذا الوجود الخضم بمختلف محمياته التي لا يرى المرء إلا أن يقف عندها حائرا مبهوتا مقطوع الأنفاس، ولعل أسمى ما جاءت به قصيدة الطلاسم أن أبا ماضي لم يقل لنا عن ماهية الروح حملنا

[1]-شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط4،2004،ص562

[2]-طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، مصر،ط1،ج3،ص198.

«ولا كيف خلق الإنسان الأول؟ ولماذا؟ ولا عما بعد موته شيئا يفسر ما يحار فيه الفكر وإنما على أن نتغزى حمل كل فلرد من هذه المجموعة الموهوبة المحمومة المعذبة بتفكيرها على أن تقرأ قصدها لها»[1].

وتتجلى ملامح الإبداع فيها أن الشاعر لم يقدم هذه الحيرة بلغة الفلسفة الغامضة ولا بمنهج فن المنطق الكدر ولا حتى بطريقة صوفية رامزة وإنما صاغها بتفكير العاطفة المضطربة التي تعتلج فتنساب عنها خلجات رقيقة واضحة في بساطة السذج من المتسائلين الذين كل مطلبهم أن يعرفوا أين هم من هذا المكان والزمان،لا لقد كانت الطلاسم مجموعة تأملات متطلعة إلى البحث عن الحقيقة، قد حاول من خلالها أن يقف عندما عجز عقله عن فهمه واستيعابه بل يحاول التغلغل إلى الأعماق، ويبلغ مجموع هذه المطولة واحداً وسبعين مقطعاً، يتألف كل منها من أربعة أبيات، تنتهي » [2].بتكرار لازمة" لست أدري " ويستهل الشاعر طلاسمه بالتساؤل الحائر عن مصدره وعن سر وجوده حيث يقول:

جِئْتُ لاَ أَعْلَمُ مِنْ أيْنَ ولكِنْ أتَيْتُ

وَلَقَدْ أبْصَرْتُ قُدَامِي طَرِيقاً فَمَشَيْتُ

وسَأبقَى سائِراً إنْ شِئت هَذَا أمْ أبيت

كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أبْصَرْتُ طَرِيقِي؟

لَسْتُ أدْرِي!

إن الشاعر يعلن بداية جهله بمصدر وجوده بل مصدر الوجود كله، إنه لا يعرف إلا حياته وهي حياة إنه كائن يحي في هذا الخضم العارم فمن أي عالم جاء؟ كيف جاء؟ هل هو مقيد أو طليق؟ وهل دربه طويل أم قصير؟ هل كان قبل أن يأتي إلى هذا الوجود شيئاً يشعر بوجوده أم لم يكن شيئا؟ تلك أسئلة لم يجد لها أبو ماضي غير الجواب (لستُ ادري).

ثم يتساءل عن كل ذلك لعل عقله يهتدي إلى جواب يشفي غليله فيطلق تنهيدة عميقة يغدق ليها من سواد جهله أو ظلامه:

أتُرانِي قَبْلَمَا أصبحْتُ إنْساناً سوياً

كُنتُ محواً أو مُحالاً أمْ تُرانِي كنتُ شيَا

ألهَذَا اللغزِ حل أمْ سَيَبْقَى أبَدِياَ

لَسْتُ أدْرِي ...فلِماذَا لَسْتُ أدْرِي؟ ...

لَسْتُ أدْرِي

[1]-شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط4،2004، ص562.

[2]-طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، مصر،ط1،ج3، ص198.

ثم يمضي أبو ماضي على البحر ويتجاذب أطراف الحديث معه كأنما الشاعر قد تفاعلت نفسه مع البحر فقرب منه وجلس إليه وأخذ يفكر في أحواله فلا يدع ظاهرة من ظواهره ولا سرا من أسراره إلا ذكره واستطلع الأمر فيه، ولما أعياه الأمر لم يجد مفرا من قوله لست أدري:

يكَمِثْلي أيُّها الجَبّارُ أصْدافٌ و رَمْ

إنَّمَا أنتَ بِلاَ ظِلٍّ ولِي في الأرْضِ ظِلُّ

إنَّمَا أنتَ بِلا عَقْلٍ ولِي بحرُ عَقْل

فلِماذَا يَا تُرَى أمْضِي وتَبْقَى لَسْتُ أدْرِي

فحين لا يجد عند البحر جوابا عن شيء من أسئلته ولا يمده ولو ببصيص من النور الذي ينشده فييأس ويمضي قاصدا الدير فقد قيل له أن هناك قوما عندهم مفاتيح الحياة وأسرار العلوم وكنوز الحكمة والمعرفة، غير أنه يصطدم بالجواب ذاته وقد كتب على باب الدير بالخط العريض " .لست أدري[1] "

قدْ دَخلت الدِيرَ أسْتنطِقُ النَاسِكينَا

فإذَا القَوْمُ مِن الحِيرَةِ مِثْلِي بَاهِتُونا

غَلَبَ اليأسُ عَليْهِمْ فهُم مُستَسْلِمونَا

وإذَا بالبَابِ مكْتُوبٌ عَليْهِ

لَسْتُ أدْرِي

فيغادر الشاعر الدير يجر أذيال الهزيمة ويطلق القيادة لقدميه فتأخذانه إلى المقابر أين يطلق عليها سيلا عارما من الأسئلة التي تثير في نفسه التأملات والتي حاول عابثا البحث عن جواب لها لتطمئن روحه، فيخاطب نفسه قائلا:

انظُرِي كيْفَ تَساوَى الكُلُّ في هَذَا المكانِ

وتَلاشَى في بَقايا العبْدِ ربُ الصولَجانِ

والتَقَى العاشِقُ والقالِبُ فما يفْترِقانِ

أفَهَذا مُنتَهى العَدْل؟ فقَالتْ

لَسْتُ أدْرِي!

[1]-عيسى الناعوري ، ادب المهجر ،دار المعارف مصر ، ط2 ،1966 ،ص291.

ثم يعود كما جاء والحيرة هي هي، لا تنقشع قد لقي من جهاده الروحي عتيا بكل ما يحمله على كاهله من الأسئلة فكأنها تؤمر نفسها كي لا يجد لها تفسيرا وتمضي مستمتعة بجهله ، وينطلق شاعرنا والأسئلة

قد أثقلت كاهله إلى أن يصل إلى قصر شاهق فخم فيلجه ويمضي في أسئلته ولكنه أبدا لا يجد الجواب فيستوقف بصره للمقارنة بين القصر والكوخ فلا يجد في الحقيقة فرقا بينهما أو ليس صاحب هذا وصاحب ذاك يشتركان في كل الصفات والمزايا؟ ألا يتعاقب على كليهما الليل والنهار وهما لا يملكان من الأمر شيئا؟ ألا يساور نفسيهما الشك واليقين، الغضب والرضا، الخوف والطمأنينة؟ إذن فهما متساويان في كل شيء والطبيعة لا تعرف التفريق بينهما لأن المخلوقات كلها سواسية عندها:

وأسألُ الفَجْرَ أعِنْدَ الفَجْرِ طينٌ ورُخام

وأسْألُ القَصْرَ ألا يُخْفيهِ كالكوخِ الظلامُ؟

وأسْأل الأنجُمَ والرّيحَ وسل صوب الغمامِ

أتُرَى الشيءُ كَما نحْنُ نراهُ؟

لَسْتُ أدْرِي؟

ثم يعود أبو ماضي من جديد ليفكر في منبع هذه الأفكار والخواطر التي تحرق عقله وبعدما حار في أمر القصر وساكنيه والكوخ والثاوين فيه عرّج على نفسه المضطربة الهائجة فوجد فيها صراعا وعراكا كاد يعتقد على إثره بازدواج شخصيته:

إنّي أشهدُ في نَفْسِي صِراعاً وعِراكاً

وأرَى ذَاتِي شيْطاناً وأحْياناً ملاكَا

هلْ أنَا شخْصانِ يأبَى ذاكَ مع هَذا اشْتراكَا

أمْ تُرانِي واهِماَ فمَا أراه

لَسْتُ أدْرِي[1]؟

وحين يمل الشاعر الطواف وتسأم نفسه التساؤل فلا يقع على شيء من الحقيقة التي أجهد عقله في البحث عنها، فيجد نفسه كأنه يدور في حلقة مفرغة يعود من حيث بدأ بتساؤله عن نفسه وكنهها وحقيقتها فلا يزيده ذلك إلا حيرة وقلقا وجهلا، فيصرح قائلا:

أنَا لا أذكُرُ شيْئاً عنْ حَياتِي الماضِيَة

[1]-عيسى الناعوري ، ادب المهجر ،دار المعارف مصر ، ط2 ،1966 ،ص292 و 293.

أنَا لا أعرِفُ شيْئاً عنْ حياتِي الآتِيَة

مَاهِيَة أدْرِي لَسْتُ أنّي غيْرَ ذاتٌ لِي

فمَتَى تعرفُ ذاتِي كُنْهَ ذَاتِي لَسْتُ أدْرِي؟

لقد قادته هذه التساؤلات التي ثارت في نفسه وهو بين المقابر عن الموت والخلود، بهذه الرباعية التي تتسق مع في نفسه من حيرة:

يَا صَدِيقِي لا تُعلِّلْنِي بتَمْزيقِ السُتُور

بعْدَمَا أقْضِي فعمَلِي لا يُبالِي بالقُشُور

إن أكُنْ في حالَةِ الإدْراكِ لا أدْرِي مَصِيري

كيْف أدْرِي بعْدَما أفقد رُشْدِي

لَسْتُ أدْرِي؟

فإذا كانت اللاأدرية أوالارتيابية هي المعنى التقرير الذي انصبغت به الرباعية ،فإن مضمونها في مجمله يشير إلى ميل الشاعر إلى التساؤل والبحث عن أمور يعجز عقله عن إدراكها فيختم قصيدته المطولة على الحيرة المستسلمة التي يبدأها أول مرة فيقول:

إنّي جِئْتُ وأمْضِي وأنَا لا أعْلَم

أنَا لُغزٌ وذَهابِي كمجِيءِ طلسم

والذي أوْجَدَ هذا اللُغزَ لغزٌ أعظَم

تُجادِل ذُو الحِجا منْ قالَ أنّي

لَسْتُ أدْرِي

هذا إذن ما أحزن إيليا وأقلق سكينته فكان دائم البحث يحاول عابثا الوصول إلى حقيقة في قصيدته المطولة الطلاسم التي « تروي ظمأه .ومن هنا نرى أن الصبغة التأملية أعمق ما كانت تلخص شيئا من فلسفته وآرائه في الحياة، وأقول شيئا من فلسفته ولا أقول كل شيء - يقول عيسى الناعوري–لأن فلسفة أبي ماضي في شعره النواحي وكل نواحيها تهدف إلى خير البشرية وسعادة الحياة»[1].

إن هذه اللاأدرية التي تمخضت عن تساؤلات مستمرة لم تكن خالصة له فهناك بعض أبا ماضي تأثر فيها بالفلسفات اليونانية القديمة، ولعل اهتمام إيليا بالمعري أمر يستسيغه الذوق الفني إلى حد ما إذ ليس من

[1]-عيسى الناعوري ، ادب المهجر ،دار المعارف مصر ، ط2 ،1966 ،ص294 و 295.

المستبعد أن يكون إيليا الشاعرين اللاأدريين فتأثر بهما ...ولا قد اطلع على إنتاج أو بالخيّام « من يزعم أن النقاد أخال – يقول الكناني جعفر – أن إيليا قد انكب على قراءة الفلسفة اليونانية انكبابا جعل إيليا ينسى ذاته حتى يبلغ منه التأثر أن يرجع تعابير الفيلسوف اليوناني .ومن هنا فإن الكناني لا يستسيغ هذا الأمر وجعله من ضرب المبالغة من "» في قوله" لست أدري طرف بعض من درسوا إيليا وقالوا بتأثره بالفيلسوف اليوناني.

هذا وقد أورد الدكتور عيسى الناعوري ثلاث آراء حول هذه المطولة يستكبرون أن يعمد إنسان إلى البحث في أسرار الحياة وما وراء الحياة ويرون في هذا التساؤل الحائر وفي وفي هذه اللاأدريات المتعددة سببا لشقاء النفس الكثير»، فيكون من خير الإنسان أن يقبل بالحياة كما هي دون أن يتساءل عن حقائقها، ويحاول حل طلاسمها .وهناك نوع ثان من الناس«يتخذون من هذه القصيدة حجة على عقيدة الشاعر الفلسفية فينسبونه بكل بساطة إلى جماعة اللاأدريين».

أما النوع الثالث«فيأخذون الأمور بظواهرها فيرون أن الشاعر يبدو في هذه القصيدة كبدوي ساذج يدخل لأول مرة فن تبهره أضواءها وبنياتها الفخمة فيقف أمامها حائرا ملجوم اللسان لايدرك من معجزاتها شيأً». أما عيسى الناعوري فلا يتفق مع أي رأي من هذه الآراء ذلك أن أصحاب الرأي الأول يرون السعادة في الجهل والرضوخ به وأن الشقاء إنما هو في البحث عن المعرفة، وهي فلسفة الكسالى، وأبو ماضي أعلى نفسا وأبعد همة من أن يكون من هؤلاء الكسالى.

أما الرأي الثاني فيدل على جهل أصحابه بصحة عقيدة أي ماضي ودوافعه النفسية، فلا هومن اللاأدريين ولا هو بالرجل الذي يحسب أن اللاأدرية سعادة الروح.

أما أصحاب الرأي الثالث فهم أيضا لم يفهموا أبا ماضي فهو ليس بدويا ساذجا يدخل المدينة لأول مرة، وإنما هو أحد أبنائها الخبيرين بما فيها.

أما عيسى الناعوري فيرى أن أبا ماضي ليس من اللاأدريين ولا هو بالباحث الحائر ولا هو فوق ذلك بالرجل الذي يطيب له العبث بعقائد الآخرين، وإنما هو رجل اهتدى إلى الحقيقة التي يرضى عنها في حل طلاسم الحياة المعقدة فاستراح بهذه المعرفة فكره وضميره ، فأراد أن يشرك الناس معه في الإهداء وقدم لهم هذه القائمة الطويلية من التساؤلات التي مر بها شكوكه الكثيرة . وبعبارة أخرى لقد وضع الشاعر في أيدي قرائه مفاتيح الحياة وتركهم يعالجون مغاليقها، فحيثما كانت الإرادة الحازمة والرغبة الصادقة فهناك تهون سائر العقبات ،فكانت هذه التساؤلات الوردة في هذه المطولة «من النوع تجاهل العارف كما يقول عيسى الناعوري»[1].

وخير مثال على ذلك قوله :

انظُرِي كيْفَ تَساوَى الكُلُّ في هَذَا المكانِ

[1]-عيسى الناعوري ، ادب المهجر ،دار المعارف مصر ، ط2 ،1966ص 296.

وتَلاشَى في بَقايا العبْدِ ربُ الصولَجانِ

يفْترِقانِ فما والقالِبُ العاشِقُ والتَقَى

أفَهَذا مُنتَهى العَدْل؟

فقَالتْ لَسْتُ أدْرِي

وفي قوله:

أأنَا السَّائِرُ فِي الدَّرْبِ أمْ الدَّرْبُ يَسِيرُ

أمْ كِلاَنَا واقفان وَالدَّهْرُ يَجْرِي...

لَسْتُ أدْرِي!

لَيْتَ شِعْرِي وَأَنَا فِي عَالَمِ الغَيْبِ الأمِينِ

أَتُرَانِي كُنْتُ أدْرِي أنَّنِي فِيهِ دَفِينُ

وَبِأَنِّي سَوْفَ أبْدُو وَبِأَنِّي سَأكُونُ

أمْ تُرَانِي كُنتْ لاَ أُدْرِكُ شَيْئاً

لَسْتُ أدْرِي!

أَتُرَانِي قَبْلَمَا أصبحْتُ إنْساناً سوياً

كُنْتُ مَحْواً أو مُحَالاً أمْ تُرَانِيكُنْتُ شَيَا

ألهذَا اللغْزِ حَل أمْ سَيَ بقىَ أبَدِياَ

لَسْتُ أدْرِي ...وَلِمَاذَا لَسْتُ أدْرِي؟

!لَسْتُ أدْرِي[1]

نلاحظ أن أبا ماضي كرر ألفاظ السير، والدرب في المقطع الأول، كما كرّر عبارة" لست أدري" كلازمة في نهاية كل مقطع من مقاطع القصيدة ، وفي المقطع الثاني والثالث كرّر عبارة" أتراني" خمس مرات، ولفظ" بأني "مرتين في بيت واحد في المقطع الثاني، كما كرّر لفظة"[2] كنت "أربع مرات في

[1]-إيليا أبو ماضي، الجداول، قصيدة الطلاسم،دار المعارف ،بيروت لبنان ط1984 16 ص140-141 .

[2] -عيسى الناعوري، أدب المهجر،دار المعارف مصر ، ط 1966 2 ص 298 .

المقاطع السابقة .فقد ساهم هذا التكرار في رسم صورة الشك والحيرة والقلق التي تطغى على الشاعر في لاسمه، كما كان له دور مميز في الموسيقى الداخلية للنص.

وفي قوله أيضا:

قدْ يَصِيرُ الشوكُ إكْليلاَ لملِكٍ أو نبيّ

ويصِيرُ الوردُ في عُروة لصٍّ أو بغِيّ

أيغارُ الشوكُ في الحقلِ من الزهرِ الجنيّ

أم تُرى يحسبُهُ أحقَرَ منهُ؟ لستُ أدْرِي!

وغير هذه الأسئلة كثير، أليست كلها أجوبة صريحة أكثر منها أسئلة حائرة يقصد بها البحث عن المعرفة، وليس من هذا الرأي أن تسمع الشاعر يختم بقوله:

لا تُجادِل ذُو الحِجا منْ قالَ أنّي لَسْتُ أدْرِي

وبهذا الشك القاتل الذي تسربلت به القصيدة هو الذي دفع النقاد إلى نسبة أبي ماضي إلى جماعة اللاأدريين الذين يشكون في كل شيء كما يقول«جورجياس أحد زعماء السوفسطائية ويقول إننا نشك في وجود الأشياء وإن كانت موجودة فلا سبيل إلى معرفتها» [1].

وبهذا فإن ملحمة (الطلاسم) أ و اللاراديين هي خلاصة ما تمخض عنه تفكير أبي ماضي في الوجود بمختلف ألغازه وطلاسمه .فكانت الطلاسم خير تصوير لحيرته أمام الكون وألغازه، وتكشف عن شعوره العميق بقصوره عن التغلغل في حقائق الأشياء واستجلاء صفاتها وعلاقتها ومصير وجودها، ويخرج من القصيدة كما دخل فألغاز الوجود لا تزال بدون حل، وعلى هذا النحو ظل أبو ماضي حائرا قلقا لا يستطيع فهم الوجود ولا فهم الكون من حوله فكل ذلك ألغاز وطلاسم .وكأنه أعياه فك هذه الطلاسم رأي أن يزيح أثقال جهله وحيرته عن صدره بكؤوس التفاؤل الشفافة فهي التي تخدر حواسه وتنيم قلقه وتريحه لا من التفكير في ألغاز الوجود والحياة والفناء فحسب بل أيضا من التفكير في كلا ما يحلل الحياة من بؤس وشقاء وحزن وألم، مطلقا العنان لروحه كي تنعم بين أحضان الطبيعة فهي دائما ملهمته الكبرى وأمه الحنون التي تحتضنه إن نبذته الحياة وضاقت به.

[1]-زهير ميرزا، عن مقدمة الديوان، دار اليقظة دمشق،1948،ص88.

الخاتمة

BROUILLON

❖ الخاتمة:

الحمد لله الذي يسر وأعان ، فدل بفضله الصعب وهان ، أحمده حمدا يليق جلاله وعظيم سلطانه ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى أله وصحبه أجمعين.

وبعد ....فهذه خاتمة هذا المشوار ونهاية الدراسة التي تمثلت في دراسة التحليلية لكتاب إيليا أبو ماضي شاعر الحنين.....والآحزان للكتاب هاني الخير حيث توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها :

يعد الشاعر (إيليا أبي ماضي) ،شاعر المهجر الأكبر ، وإرتبط شعره بنفسه ارتباطا وثيقا ، فعبر عن موافقه الإنسانية والاجتماعية والفكرية وجاءت قصائده في كثير منها تصويراً للحياة بكل صراعاتها وتناقضاتها.

يمتاز شعر(إيليا أبي ماضي) بعامل الجدة ، فالسعي إلى التجديد على مستوى الصياغة التركيبية والمعجمية يدفع المتلقي إلى الحب أاستطلاع لكل ماهو جديد ، فيرتقي التواصل التعبيري والفكري بين المبدع والملتقي.

كان إيليا أبي ماضي في قصائده الشعرية أكثر تفاؤلا وأملا بالحياة .

تؤثر مصادر الجمالية اللغوية لشعر إيليا أبي ماضي في المتلقي ، فتخلق جمالية التلقي ، وينتج عنها أثار مختلفة تتمثل في :

تحقق المتعة والمنفعة، فالمتعة الجمالية، تبعث السرور في النفس، وتشبع إحساس المتلقي من خلال العمل الإبداعي، فيتطور الموقف الجمالي من الثقة إلى الحصول على المنفعة.

أثر المثالية والشعرية ، فالمالية هي القيم الرفيعة التي تنزع في التحقيق مثل عليا ، تؤثر في النفس المتلقي والشعورية تتعلق بالمشاعر والإحاسيس المختلفة التي يسوقها الشاعر إلى المتلقي ، فيتعايش بدوره مع هذا الإحساس ويحدث التذوق الجمالي.

في عرض الشاعر العربي إيليا أبي ماضي من خلال قصيدته المساء والطلاسم فنجد ماتبرر مدى تأثر الكاتب والشعر العربي بالرومانسية العربية سواء من حيث الشكل أو المضمون ، إذا أنه منح عناصر الطبيعة الحق الحجوار والتعبير عن الأشياء التي تتمثل به وتقع في جمال حسه ، وهذا مزاد القصيدة العربية إثراء وتنوعا من حيث الأصوات والأساليب ونموذج المشاعر والأفكار.

كانت هذه أهم الأبعاد الجمالية المتجلية في شعر إيليا أبي ماضي ولا يسعنا في الأخير سوى القول أن هذه الدراسة محاولة جادة لتحقيق أهداف البحث وتطلعاته ،فأن تم ذلك على وجه الذي أرجوه فقد حقق مرادي وأصبحت مبتغاي وذلك فضلا من عنده سبحانه وتكرم ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلك وحاولت الارتقاء بهذا العمل، والله وحده هو الذي يتولى أمرنا ، ويوفقنا إلى سداد والصواب.

وأخر دعونا أن الحمد الله رب العالمين

قائمة المصادر
و
المراجع

-القران الكريم

❖ قائمة المصادر والمراجع :

أولا- الدواوين :

1-إيليا أبو ماضي ،الجداول ، قصيدة المساء ، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ، ط16 ،1948.

2- إيليا أبو ماضي، الديوان ، دار مكتبة الهلال ، مصر ، 2016.

ثانيا - المصادر والمراجع:

1- د الهواري صلاح الدين ، ديوان إيليا أبي ماضي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ط1-ت2013

2- عمر مختار أحمد، اللغة واللون ، دار عالم الكتب ، القاهرة مصر ، ط1 1982.

3- أبي الفضل ،جمال الدين ، محمد بن مكرم ، أبن منظور ،ط جديدة محققة ، ةالمج3 ، دار صادر بيروت ط4 2005.

4- العسكري أبو هلال ، الصناعيين الكتابة والشعر ، تر: مفيد فتحية دار الكتب العلمية ، ط1 1981.

5- الصفار ابتسام مرهون ، جمالية التشكيل اللوني في القرأن الكريم ، جماعة حدار ، عالم الكتب الحديث إربد ، الأردن ، الطبعة 1 2010.

6- عوين احمد، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، تقديم : حسين منصور سعيد ، ط1 الإسكندرية 2001 ن دار الوفاء للطباعة والنشر .

7- يوسف خليفة احمد، البنية الدرامية في الشعر إيليا أبي ماضي ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ط1-دت.

8- إيليا أبو ماضي شاعر الحنين والأخزان ، الخير هاني ، موسوعة الأعلام الشعر العربي الحديث دار مؤسسة رسلان سوريا، دمشق ط1

9- ملاح بناجي ، سيميائية العنوان في النقد الجزائري الحديث ، دار الغرب للنشر والتوزيع دت-2002-

10- الجيوسي سلمى الخضراء ، الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث تر :عبد الواحد لؤلؤة ، مركز الدراسات للوحدة العربية ، بيروت ط1 2001.

11-عبدا لله ثاني قدور ، سيميائية الصورة ،دار الوراق ، عمان، الأردن ، ط1 2008.

12- الفيروز أبادي محي الدين بن يعقوب ، قاموس المحيط4 دار الجيل بيروت دط –دت-

13-يحي الحيوري ، الحنين والغربة في الشعر العربي ، الحنين إلى الأوطان ، ط1 ، عمان : الأردن 2008 ، دار المجد لأوي للنشر والطبع والتوزيع .

14- أبي ماضي إيليا والديوان ، زهير ميرزا ، دراسة عن إيليا ابي ماضي شاعر المهجر الأكبر بيروت نالعودة دط - دت.

15- الناعوري عيسى ، أدب المهجر ، ط3 مصر 1977 – دار المعارف .

16- عبد المنعم الخفاجي محمد ، مدارس الشعر العربي الحديث ، دار الوفاء ، لدينا الطباعة والنشر الإسكندرية،2004.

17- الكناني جعفر الطيار الدارسات الأدبية إيليا أبي ماضي دراسة تحليلية مكتبة الخانجي للنشر مصر مكتبة الرشاد الدار البيضاء : دط-دت.

20- بو لعيو بو جمعة ،موازنة بين الشعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو دراسة في خصائص الموضوعية والفنية ، منشورات قارو يونس ، بنغازي ط1 1995.

21-القط عبد القادر ، الاتجاه الوجداني في الشعر ، مكتبة الشباب ، المنيرة ط1 1992.

22-شوقي ضيف ، دراسات في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، مصر ،ط5 دت-

23-عبد العاطفي عطية شعبان و آخرون، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية مصر ط4 ،2004.

24-حسين طه ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ،مصر ، ط1 ،ج3 ، دط- دت.

الفهرس

BROUILLON

***الفهرس :**

كلمة شكر

إهداء

مقدمة..... آ

مدخل..... 5

الفصل الأول : *دراسة حول الشاعر إيليا أبي ماضي*

أولا- تعريف الشاعر

1-1حياته..... 10

1-2نشاطه الثقافي..... 11

ثانياً-أهم أعماله

2-1 ديوان تذكار الماضي 1911.....12

2-2 ديوان إيليا أبي ماضي 1919.....12

2-3 ديوان الجداول1927.....12

2-4 ديوان الخمائل 1930..... 13

2-5 ديوان التر والتراب 13

ثالثا- مضاهر التجديد عند إيليا أبي ماضي

3-1 حنين إلى الأوطان 15

3-2 التأمل..... 15

3-3 حب الطبيعة 16

3-4 براعة الوصف..... 17

3-5 بساطة في التعبير..... 17

الفصل الثاني: دراسة الفنية لقصيدتا المساء والطلاسم أنموذجا

أولا- دراسة تحليله للقصائد.....

1-1قصيدة المساء..... 20
2-1 دراسة العنوان..... 23
3-1 أفكار القصيدة وكيفية تعبير الشاعر عنها..... 23
1-2 قصيدة الطلاسم..... 29
2-2 دراسة العنوان 41
3-2 البعد الفلسفي والاجتماعي للقصيدة..... 41
الخاتمة..... 50
مكتب البحث..... 52
الفهرس.....55

***ملخص:**

إيليا أبي ماضي هو أحد أبرز الشعراء العرب في القرن العشرين كما أنه احد أبرز شعراء المهجر

هاجر إيليا أبو ماضي إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث عمل تاجرا ثم تفرغ إلى الأدب فحرر عددا من الصحف والمجلات.

كان أحد أبرز أعضاء الرابطة القلمية فكان يلقب بشاعر الفكرة نظرا لأسلوبه الجميل فهو شعري رائع

الكلمات المفتاحية : الطبيعة – الحنين- التأمل- الشعر العربي الحديث.

RESUME :

Elijah Abi Madi est l'un des poètes arabes les plus en vue du 20ème siècle et l'un des poètes les plus en vue de la diaspora \r\nElijah Abi Madi émigre aux États-Unis, où il travaille comme marchand, puis se ramifie en ours et édite un certain nombre de journaux et de magazines.\r\nIl était l'un des membres les plus éminents de la Pen Association et a été surnommé le poète de l'idée , frais pour son beau style, il est un merveilleux poilu\r\n

Mots –clés :lanture – nostalgies- méditation –poésie arabe moderne.

Summary:

Elijah Abi Madi is one of the most prominent Arab poets of the 20th century and one of the most prominent poets of the diaspora \r\nElijah Abi Madi emigrated to the United States, where he worked as a merchant and then branched out into a bear and edited a number of newspapers and magazines.\r\nHe was one of the most prominent members of the Pen Association and was nicknamed the poet of the idea, fresh for his beautiful style, he is a wonderful hairy\r\n

Key Word: nature – nostalgie – méditation – modem arabica poterie.